العنوان: فكرة الدولة عند محمد بن خزر المغراوي 296 - 361 هـ / 908 - 972 م
المصدر: مجلة كلية الآداب
الناشر: جامعة الزقازيق - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي: بشير، عبدالرحمن
المجلد/العدد: ع 34
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2005
الشهر: ربيع
الصفحات: 252 - 290
رقم MD: 358797
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: AraBase
مواضيع: المغراوى ، محمد بن خزر ، 361 هـ، المرغب العربي، الملوك والحكام، الموارد الاقتصادية، الهيكل الاداري للدولة، القوانين والتشريعات، قبيلة مغراوة، التراجم، سياسة وحكومة، الدولة البربرية
رابط: http://search.mandumah.com/Record/358797

فكرة الدولة عند محمد بن خزر المغراوى

٢٩٦ - ٣٦١ هـ / ٩٠٨ - ٩٧٢ م

إعـــداد

د / عبدالرحمـــن بشيـــر

كليـــة الأداب – ج . الزقازيـــق

فكرة الدولة عند محمد بن خزر المغراوي

٢٩٦-٣٦١هـ/٩٠٨-٩٧٢م

مغراوة المغرب الأوسط بطونها ومضاربها- قيام إمارة محمد بن خزر الإمارة والدولة – مقومات الدولة – المذهب الديني والدولة شكل الدولة – العاصمة – الهيكل الإداري للدولة الموارد الاقتصادية – الشرعية – علاقات محمد بن خزر مع الناصر الأموي –الدهاء السياسي لمحمد بن خزر كرجل دولة اشكالية وفاة محمد بن خزر .

مقدمة

يسجل المؤرخون دائما تاريخ السلطة والسلطان ، وكلما اصطدمت قوي خارجية بهذه السلطة برزت علي السطح وحل ذكرها في كتبهم ، والبحث في هذه المحطات – محطات توقف السلطة في طريقها للهيمنة والسيطرة – يتيح للباحث أن يرصد الكثير من حركات المعارضة التي أوقفت المد السلطوي قسرا . معلوم تقليل المؤرخين من شأن هذه الحركات دوما ، خاصة إذا كان المؤرخ ينتمي إلي شيعة ومذهب السلطة ، وبما أن التاريخ لا يمكن تزييفه أو تزويره لكن يمكن إهماله لفترة ما ؛ فتخرج وثيقة هنا أو مخطوط هناك يكشف المستور ، ويعري الحقيقة . من هذا المنطلق تبدأ دراستنا عن إمارة بربرية تظهر علي واجهة الأحداث حينا ، وتختفي أحيانا أخري ؛ تلك هي إمارة مغراوة التي تمرس أمراؤها علي السلطة منذ قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وأثناءه ، وسطر التاريخ وجودا قويا لها بسبب الوفاق السياسي بينها وبين الدولة الإسلامية ، وأقر الخليفة الراشد عثمان بن عفان لزعمائها بالملك بالمغرب الأوسط من دار ملكهم وعاصمة إمارتهم تلمسان ، وفي عصر الدولة الأموية أطوها النسيان حتى أندلعت ثورة البربر سنة ١٢٢هـ التي قلصت سلطان الخلافة الإسلامية عن المغرب الأقصي والمغرب الأوسط وأدت إلي نوع من الاستقلال السياسي وانبثاق كيانات سياسية في بلاد المغرب نتيجة ذلك الفراغ. لم تكن إمارة مغراوة بعيدا عن هذه الأحداث وتعاملت وفق معطيات المرحلة ، واقتسموا السلطة علي المغرب الأوسط مع بني يفرن التي علا كعبها بسبب اعتناق كثير من بطونها مذهب الخوارج ومشاركتهم الفعالة في الثورة علي الأمويين ثم العباسيين ، وما أن استقرت الأمور للدول المستقلة وخبي أمل الخلافة العباسية في السيطرة علي المغربين الأقصي والأوسط حتي صعدت مغراوة من جديد علي سطح الأحداث من خلال زعيم أحد بطونها وهو محمد بن خزر الذي بدأ بالإمارة مرحلة جديدة ، حيث اعترف بالأدارسة الذين أقروه أميرا علي قومه مثلما فعل الخليفة عثمان بن عفان مع جده صولات بن وزمار ، وتوالت الأحداث وضعفت دولة الأدارسة وعلا شأن إمارة مغراوة ، وتأتي الدولة الفاطمية لتقضي علي معظم الكيانات المستقلة وتبتلعها ضمن مشروعها الكبير .

لم تخضع إمارة مغراوة وزعيمها محمد بن خزر الثاني لهذا التغيير الجديد ، ووقف الأخير مدافعا عن كيانه القبلي ، وحمل السلاح في وجه القادمين من المشرق ، كما حمل في داخله طموح الاستقلال وبذور الوعي السياسي الذي قاده إلي بناء دولة – بالتعبير المعاصر – لها كل المقومات من أرض وشعب وعاصمة وموارد مالية وأخيرا شرعية ، وهو مجال هذه الدراسة التي نحاول فيها استنطاق النصوص خاصة التي حققت حديثا وتحليل الأحداث والمقارنة بينها لابراز حقيقة مفهوم هذه الدولة وكيانها . ومدي نجاح محمد بن خزر في تحقيق مبتغاه، وكرست الصفحات التالية لتبيان الأحداث للوصول إلي أقرب صورة للحقيقة وهي غاية المؤرخ، التي تتضمن الصواب والخطأ لكن حسبي أني اجتهدت والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، وعرفانا مني لاحد اساتذتي وهو الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد رائد دراسات المغرب في العصر الوسيط الذي فقدناه هذا العام ، والذي علمني كيفية التعامل مع النصوص وإخراج الحقيقة من بين سطورها أدعوا الله أن يتغمده بواسع رحمته ، وأن يدخله فسيح جناته وأن يوهبه عطاء غير مجذوذ .

عبد الرحمن بشير

طفت قبيلة مغراوة علي سطح الأحداث التاريخية عندما تقلص ظل الخلافة عن المغربين والأقصى والأوسط نتيجة ثورة البربر التي بدأت سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م[1] " واستفحل ملكهم (ملك مغراوة) وعظم سلطانهم علي البدو من زنانة بالمغرب الأوسط "[2] وشمل هذا السلطان أبناء عمومتهم بني يفرن الذين أسسوا إمارة خارجية في تلمسان سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م [3] ، فقد أمدتنا بعض المصادر التاريخية التي أرخت لدولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ/٨٧٩م [4] ؛ بأن حكام المغرب الأوسط الذين أتخذوا من تلمسان عاصمة لهم هم بنو خزر زعماء مغراوة ، وعندما غزا الأدارسة المغرب الأوسط ووصلوا إلى تلمسان سنة ١٧٤هـ/٨٨١م سلم زعيم مغراوة محمد بن خزر تلمسان لهم دون حرب[5] ، مما يعني أن ابن خزر هو صاحب السلطان علي المغرب الأوسط ، وأنه أنضوي تحت طاعة الأدارسة ؛ لنيل صفة المشروعية لحكمه ، وظل علي هذا الحال طوال فترة قوتهم ، أي حتى عهد إدريس الثاني الذي أقام بين بني خزر في تلمسان ثلاث سنوات يحارب الخوارج من زناتة[6] ، وبعد موت إدريس الثاني أقتسم أولاده الدولة فيما بينهم[7] ، ودب الضعف في أوصالها نتيجة المنازعات والحروب بين بعضهم البعض ، كان إدريس الأول قد ولي أخوه الأكبر سليمان ولاية تلمسان وظلت في عقبه[8] ، وكلما زاد ضعف الأدارسة زادت قوة محمد بن خزر ، وأصبح النفوذ الإدريسي عليه لا يمثل إلا غطاء لشرعية حكمه من الناحية الدينية فقط ، وانشغل خلفاء إدريس الثاني بالنزاع علي السلطة والحكم في المغرب الأقصى ، وتركوا لأبناء عمومتهم من الفرع السليماني حكم تلمسان [9] تتجاذبهم أمواج الصراع القبلي بين بطون زناتة ، مغراوة وبني يفرن وأغفلهم المؤرخون المعاصرون ولم نسمع لهم ذكرا .

ضربت مغراوة أقوي بطون زناته١٠ بين تلمسان وتاهرت ١١ وضربت بنو خزر إحدي بطونها مع أبناء عمومتهم بني يفرن في تلمسان وأعمالها١٢ ، كما ضربت بطون أخرى منها وهم بنو سنجاس وبنو ورسيغان بجبل راشد ونواحي الشلف١٣، والأغواط كانت مضاربها فيما بين الزاب وجبل راشد١ ، كما

---

1 -ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بيروت ،٤ ص١٨٩
2 - ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص٢٤
3 -مجهول ، نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطي ، ليفي بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ م ص٤٨، ٤٩
4 - البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثني ، بغداد ص١١٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص٧
5 - ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥ ؛ القلقشندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق احمد عبد الستار احمد فراج ، ط٢ مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٥م ، ١ص٢٠٢ ، الناصري ، الأستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٧٧م ، ص٢١٣
6 - ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص١٣ ، ١٤
7 - البكري ، المغرب ، ص١٣٢
8 - ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥
9- القلقشندي ، مآثر الأناقة ، ١ص٢٠٢
10- ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٢م ص٤٩٨
11- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول تحقيق كولان وبروفنسال ، ليدن ١٩٤٨م ، ١ص٢٠٠
12- ابن عذارى، البيان المغرب ، ١ص٢٠٠؛ ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص٢٥
13-ابن خلدون ، العبر ، ٧ص٤٧

ضربت بطون أخري منها شرقي وهران٢، وتعد مغراوة أقوي بطون زناته وكان لها الرياسة فيها من قبل الفتح الإسلامي حتي قيام دولة المرابطين في بلاد المغرب الأقصى . تزعم بنو خزر مغراوة في المغرب الأوسط " ولم يزل الملك بضواحي المغرب الأوسط لمحمد بن خزر ... إلي أن كانت دولة الشيعة وأستوثق لهم ملك إفريقية "[٣] استكمل لمحمد ابن خزر كل مقومات بناء الملك من حيث السطوة والسيطرة علي الكثير من بطون زناته وخاصة مغراوة الضاربين في تلك المنطقة ، لكن كيف وصلت الإمارة إليه ؟ تحدثنا المصادر أنه ((كان لمغراوة هؤلاء في بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الإسلام ؛ فأقره لهم وحسن إسلامهم وهاجر أميرهم صولات بن وزمار ووفد علي أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فلقاه برا وقبولا لهجرته وعقد له علي قومه ووطنه .... فاختص صولات هذا وسائر الأحياء من مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بني أمية .... ولما هلك صولات قام بأمره مغراوة وسائر زناته من بعده ابنه حفص وكان من أعظم ملوكهم (وهو جد ملوك مغراوة كلهم) [٤] ثم لما هلك قام بأمره ابنه خزر ....ثم انتقض أمر بني أمية بالمشرق فكانت الفتنة ....وهلك خلال ذلك خزر وقام بملكه ابنه محمد ، وخلص إلي المغرب إدريس الأكبر.....سنة سبعين ومائة في خلافة الهادي .... ثم نهض إلي المغرب الأوسط سنة أربع وسبعين فتلقاه محمد بن خزر هذا والقي إليه المقادة وبايع له عن قومه وأمكنه من تلمسان ....إلي أن كانت دولة الشيعة واستوثق لهم ملك إفريقية ...... ،وانتقض (وانتفض) عمر بن خزر من أعقاب محمد بن خزر الداعية لأدريس الأكبر وحمل زناته وأهل المغرب الأوسط علي البرابرة من الشيعة ، وسرح عبيد الله المهدي مصالة قائد المغرب في عساكر كتامة سنة تسع[٥] ولقيه محمد بن خزر في جموع مغراوة وسائر زناتة .....)٦ .

وبتحليل هذا النص وفقا للأحداث التاريخية يمكن أن نتعرف علي تاريخ قيام إمارة محمد بن خزر وكيف وصلت إليه الزعامة في مغراوة ، فإذا كانت الإمارة خالصة لمحمد بن خزر عند مجيء إدريس الأول سنة ١٧٤هـ| ٧٩٠م فهل طال به العمر حتى وصول الفاطميين ؟ أم أن هناك محمد آخر الذي دوخ الفاطميين حتي وفاته ؟ الراجح أن الأول تولي الإمارة بعد موت أبيه خزر بعيد سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وانفضاض ملك بني أمية في الشرق ، وقبل قدوم الأدارسة ، وتوفي قبل دخول الفاطميين إلي بلاد المغرب بدليل أن زعيم

1-ابن خلدون ، العبر ، ٧ص٤٧؛ تشتهر هذه البطن بالنجدة والامتناع عن العرب، نفس المصدر والصفحة .

2-البكري ، المغرب ،ص٧٢

3- ابن خلدون ، العبر ، ٧ص٢٥

4 ـ لسان الدين بن الخطيب ، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق ، احمد مختار العبادي ، محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٦٤م ، ص١٥٣ .

5 – خلط ابن خلدون بين الحملة التي قام بها مصالة بن حبوس إلي سجلماسة سنة ٣٠٩هـ وبين المعركة التي قادها أمام محمد بن خزر بأمر من الخليفة الفاطمي سنة ٣١٢ هـ راجع ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص ١٨٩

6 – ابن خلدون ، العبر ،٧ص٢٤-٢٥

مغروة الذي قاد أول تصادم مع الفاطميين هو عمر بن خزر(من أعقاب محمد بن خزر الداعية لأدريس)[1] وبما أن الحكم وراثي في هذه الإمارة منذ صولات بن وزمار فيكون عمر هذا هو ابن محمد بن خزر الأول وهو واسطة العقد بين محمد الأول ومحمد الثاني ابن عمر وسمي جده محمد ، ومن هنا خلطت المصادر بين محمد بن خزر وبين محمد بن عمر بن محمد بن خزر ، وربما اختصر الكتاب القدامى اسم عمر من نسب محمد الثاني وجاراهم في ذلك المحدثون[2]، وهذا يفسر التسلسل التاريخي لزعماء مغراوة ويلغي الحلقة المفقودة بين محمد بن خزر الأول و محمد بن عمر بن محمد بن خزر ، حيث خلف محمد بن خزر ابنه عمر وقاد الإمارة في فترة ضعف الأدارسة الذين لم يكن لهم سوي السلطة الاسمية علي إقليم تلمسان منذ اقتسام دولتهم بعد موت إدريس الثاني[3] ، ولأن هذه الفترة شهدت تفوقا مغراويا علي بلاد المغرب الأوسط ولم تنازعها أي قوي خارجية من أصحاب السلطان فلم يكن لها نصيب كبير في كتب التاريخ لأن صراع القوي هو الذي يسطر التاريخ ، ويبدو أن عمر مات في أولي مراحل الصدام الفاطمي المغراوي وقام بملكه ابنه محمد الذي دوخ الفاطميين فظهر اسمه علي مسرح الأحداث [4] . فهل استوعب محمد بن خزر الثاني مفهوم الإمارة أو الدولة التي وضع لبناتها الأولي جده محمد بن خزر الأول عندما اتخذ من تلمسان عاصمة وأضفي الشرعية عليها من البيت الذي يعطي صفة المشروعية وهم الأدارسة ، حين رحب بإدريس الثاني عندما جاء إلي تلمسان غازيا سنة ١٩٧هـ/٨١٢م وظل بها حتى سنة ١٩٩هـ/٨١٤م [٥] ؟

قبل الخوض في البحث عن إجابة لهذا السؤال الذي هو محور ورقتنا هذه يجب أولا أن نرصد الفرق بين الإمارة أو الولاية والدولة كما أوردته المصادر والمراجع ؛ فالدولة لغويا تعني العقبة أو الإدالة أو الشيء الذي يتداول والجمع دول [٦] ، وهو ما يعبر عنه في الفكر السياسي المعاصر بالأنظمة السياسية التي تتداول السلطة [٧] ، ويبدو أن ابن خلدون كان يعي الفرق بين الإمارة والدولة فهو يستعمل لفظ الملك [٨] للدلالة علي الكيان السياسي المتمثل في الكيان الجغرافي المتضمن لعناصر الأرض والشعب والسيادة عندما تحدث عن إمارة بني خزر ، والبعض الأخر استخدم لفظ دول ملوك بني خزر [٩] ، بمعني تداول السلطة بين أسرة بني خزر داخل الكيان السياسي في المغرب الأوسط ، وعندما نطلق علي إمارة مغراوة لفظ دولة خلال هذه الدراسة نعني به الكيان السياسي والنظام السياسي معا حتى لا يلتبس الأمر علي القارئ ، مثلما نقول دولة

---

1 - أبن خلدون ، العبر ، ٧ص٢٥

2 - راجع علي سبيل المثال ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٦م ، ٢ ص ٤٧٠، ٩١٩

3 - سنوسى يوسف ، زناتة والخلافة الفاطمية ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ١٩٨٦م ص ١٥١

4- يقول الناصري : (ثم لم تزل ذرية محمد بن خزر (الأول) هذا تتوارث رياسة سلفهم من بعدهم إلي أن كان منهم في صدر المائة الرابعة أخوة ، وهم محمد بن خزر وعبد الله ومعبد وفلفل ، وكلهم رئيس شرف في قومه ، ولهم أخبار مع خلفاء الشيعة بأفريقية والمروانيين بالأندلس) الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ص٢٦٢

5- البكرى ، المغرب ، ص ١٢٣

6- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مادة دول فصل الدال باب الواو

7- يلقب رئيس الحكومة في كثير من الأنظمة العربية بدولة الرئيس

8- ابن خلدون ، العبر ،٧ ص٢٥

9- لسان الدين أبن الخطيب ، أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص ١٥٣

بني العباس علي سبيل المثال فنحن نقصد بها الحكومة العباسية التي حكمت الكيان السياسي المتمثل في الخلافة العباسية.

وبالتالي فإن زعماء مغراوة كان لديهم من الفكر السياسي ما يؤهلهم لإقامة كيان سياسي؛ فأقاموا إمارة أدركها عليهم الإسلام هذه الإمارة أصبحت وفقا للأنظمة السياسية الإسلامية إمارة استكفاء بعقد عن اختيار [1] من الخليفة عثمان بن عفان [2] ، وظلت كذلك حتى أصبحت منطقة غربي المغرب الأوسط ، والمغرب والأقصى كاملا منطقة فراغ سياسي منذ ثورة البربر ١٢٢هـ/٧٣٩م حتى قيام دولة الأدارسة سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م ، في هذه الفترة أصبحت إمارة مغراوة إمارة استيلاء دون عقد من أحد حتى جاء الأدارسة إلي تلمسان عاصمة الخلافة سنة ١٩٧هـ/٨١٢م ؛ فمنحوها شرعية إمارة الاستيلاء ، وعقدوا لمحمد بن خزر الأول وقلدوه عليها أميرا [3] ، وظلت علي هذا النحو حتى ضعف الأدارسة ودخل الفاطميون بلاد المغرب ؛ فأصبحت من كيانات التغلب التي استندت إلي قوتها وشوكتها في الاستيلاء علي السلطة والسلطان ومن باب استكمال الشكل الرسمي وفقا للأنظمة الإسلامية سعي محمد بن خزر الثاني لعقد وتقليد من خليفة يوافق هواه السياسي وهو ما سنفصله لاحقا . قد نختلف مع ابن خلدون الذي أعتبر ملك زناتة في بلاد المغرب " ملك ناقص لم تتم حقيقته " حيث تجمعهم دولة واحدة ويدينون لها بالطاعة [4] ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه فكر التبعية ، لكن هل ينطبق ذلك علي كل بطون زناتة ؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب فما بال البطون الأخرى أعلنت استقلالها السياسي بعيدا السيطرة الفعلية للدولتين الفاطمية والأموية ؟ .

لم ترق لأي زعيم من زعماء البربر فكرة إعلان إمارات مستقلة لوقوع البربر تحت تأثير فكر التبعية ، فعلي سبيل المثال تمكنت فكرة التبعية من اسحق بن عبد الحميد زعيم أوربة البرنسية بدليل أن أول ما دخل إدريس إلي المغرب الأقصى احتضنه وأقام له إمارة ، وعندما أراد موسي بن أبي العافية استئصال الأدارسة وقطع دابرهم سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م (عزله عن ذلك رؤساء المغرب وأكابر اهل دولته وقالوا له : أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين ، هذا شيء لا نوافقك عليه ولا نتركك له) [5] ويتمثل فكر التبعية أيضا عند البربر عندما خرجت قبائل صنهاجة وغمارة علي صالح بن منصور الحميدي صاحب نكور لما فزعت له القبائل البربرية الأخرى وحسموا الصراع لصالحه [6] ، كما أن كتامة ارتضت التبعية للفاطميين ولم تقم دولة مع أنها كانت تملك مقومات الدولة ، ووصل الأمر بالإذعان لكل ما يصدر عن المهدي حتى

[1]- عن إمارة الاستيفاء والاستكفاء أنظر ،الماوردى ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥م ص٣٥- ٤١

[2]- ابن خلدون ، العبر ، ٧ص٢٤

[3]- البكري ، المغرب ، ص١٢٣

[4]- أبن خلدون ، المقدمة ، ص١٨٨

[5]- ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٢م ، ص ٨٤

[6]- البكري ، المغرب ، ص٩٢

ولو كان ذلك قتل داعي الفاطميين في المغرب نفسه أبا عبد الله الشيعي الذي قاد كتامة لنشر مذهب الشيعي في بلاد المغرب ، حيث قتله أحد أبناء كتامة تنفيذاالأمر المهدي [1].

حتى قبيلة صنهاجة التي دخلت في طاعة الفاطميين ثم أصبح لها كيان سياسي كان هذا الكيان من صنيع الفاطميين أنفسهم عندما " بني معد بن إسماعيل العبيدي ملك الشيعة بأخر إفريقية من جهة الغرب مدينة آشير " عاصمة لصنهاجة ، ولم يكن الفاطميون يرجون من وراء ذلك تأسيس دولة لزيري بن مناد زعيم صنهاجة بل كانت نيتهم تتجه إلي بناء مدينة حاجزة بين أملاكهم بأخر إفريقية من جهة الغرب في مواجهة زناتة مثلما فعلوا ذلك مبكرا عندما بنوا مدينة المسيلة لنفس السبب [2] فهل كان ابن خزر مختلفا عن أقرانه من البربر متمردا علي التبعية يتوق إلي الخصوصية السياسية ؟ وبما ذا ننعت تلك الدول البربرية التي قامت أمثال برغواطة في تامسنا وبني مدرار في سجلماسة وبني يفرن في تلمسان ، ثم الدول البربرية الكبيرة مثل المرابطين والموحدين هل كانت هي الأخرى متمردة علي فكر التبعية ولديها من الفكر السياسي ما يؤهلها لكي تقيم كيانات سياسية ذات منهجية مرتبة لها صفة الدوام الاستمرار ؟

أطلق أحد الباحثين علي الإمارات البربرية الصغيرة وصف (الكيانات المغفلة حيث لم يتم إدراجها ضمن الكيانات المعترف بها علي المستوي المجتمعي بسائر أبعاده) [3] أو بمعني أخر كانت كيانات ناقصة الأهلية مدينية لم يتعدى نفوذها خارج حدود المدينة التي قامت فيها ؛ فعلي سبيل المثال دولة برغواطة التي ظهرت في تامسنا سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م [4] ظلت محصورة في نفس الإقليم الذي كانت تضاريسه سببا في بقاءها مدة طويلة ، وبنو مدرار حتمت الضرورة عليهم اقامة مدينة سجلماسة ؛ فبعد ثورة البربر ١٢٢هـ/٧٣٩م إنتزت مكناسة الجنوب بواحة تافيللت التي سكنها الكثير من السودان فأسسوا مدينة سجلماسة لتكون محطة تجارية ، ولم يتعد نفوذها العسكري والسياسي خارج المدينة ، وأبو قرة اليفرني أقام إمارة في تلمسان سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م وبقي أربعين سنة يسلم عليه بالخلافة [5] لكن لم يتعد نفوذه حدود مدينته ، أما الدول البربرية الكبيرة فهي لم تلبث أن سقطت لغياب مفهوم الدولة عند البربر ؛ فالمرابطين لم تكن لديهم عند بداية دعوتهم فكرة الدولة إلا بعد استيلاءهم علي المغرب الأقصى وعلي خطوط التجارة فيه [6] ، ولقصور في الفكر السياسي عندهم اختاروا مراكش عاصمة لدولتهم ، وهو اختيار غير موفق لوقوعها وسط بلاد مصمودة في بلاد السوس وأقصي غرب ممتلكاتهم ، وعدم توسطها للدولة فضلا عن القصور الذي انتاب أنظمة الدولة

---

[1] - عن قتل أبي عبد الله الشيعي في نصف جمادى الآخرة سنة ٢٩٨هـ أنظر القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق : داود القاضي ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٠م ص٢٦٦،٢٦٧ ؛ أبن عذارى ، البيان المغرب ، ١ص١٦٠-١٦٥

[2] - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٣، ص٢٦٢،٢٦٧،٢٦٨

[3] - محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ،١٩٨٧م ص٧٢

[4] - مجهول ، نبذ تاريخية ،ص ٤٧ ؛ مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ١٩٨٦م، ص١٩٧-٢٠٠

[5] - مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٤٨-٤٩

[6] - استهدفت الزعامة المرابطية بسط سلطاتها علي الطرق التجارية بالتدريج ولم يكن لها أن تفكر فيما سوف يترتب عن عملياتها العسكرية وفي النهاية أدت هذه العمليات إلي وحدة سياسية ، راجع ، محمد القبلي ، الدولة والولاية ، ص٧٦

والتمايز الطبقي ، وبالتالي لم يتعد عمرها المائة عام، والوضع كذلك مع دولة الموحدين ، وإن كانت قد مدت نفوذها علي بلاد المغرب حتى طرابلس ، وعمرت ما يقرب من قرن ونصف فلم تتغير العاصمة من مراكش ، فضلا عن اتخاذ حكامها ألقاب خلافية وعجزت عن تصحيح المفاهيم السياسية والاستراتيجية التي أدت إلي نهاية المرابطين . وفي المقابل فإن الدول المشرقية التي قامت في بلاد المغرب (الرستمية، الأغلبية ، الأدريسية ، الفاطمية) كانت نموذجا للدولة كاملة الأهلية لما تستند إليه من شرعية دينية خاصة الدولة الفاطمية التي ملكت جهاز دعائي منظم بمشروعية دينية تستمد أصولها من آل البيت . لم يكن محمد بن خزر بعيدا عن ما يدور حوله من أحداث فهو لا يريد أن يعلن دولة ناقصة الأهلية مثل الدول (المغفلة) فتصبح كيانا مثل الكيانات البربرية السابقة ؛ بل أراد أن يجمع بين خبرات المشرقيين في نظم الحكم والإدارة وعصبية البربر في مشروع دولته الجديدة ، ويكون ندا للدولة الفاطمية، لذلك استلهم ابن خزر مشروع دولته من الدول المشرقية التي قامت في المنطقة من حيث الشكل وليس المضمون ، وتمرد علي فكر التبعية الخالصة الذي انتاب القبائل البربرية وقبل بمشروعية سياسية اسمية ممن يملكون هذه الشرعية .

تتكون الدولة حسب الفقه السياسي من السكان والأرض والحكومة ، اذن فالدولة مجموعة من الأفراد ، يحتلون منطقة معينة بصورة دائمة ، ومستقلة عن أية سيطرة خارجية ، ولهم حكومة منظمة تأخذ علي عاتقها تشريع القانون وتطبيقه علي جميع الأفراد والمجموعات الداخلة ضمن حدودها [1]. بمعني أن الدولة تنظيم اجتماعي يرمي إلي ضبط العلاقات وحماية الأرض وضمان الاستقرار [2] والأفراد في ظل هذا التنظيم الاجتماعي هم بطون من زناته تتزعمهم مغراوة ، حيث إن القبيلة هي الوحدة الاجتماعية التي يقوم عليها المجتمع في شمالي أفريقيا ، والأرض هي المنطقة الواقعة غربي المغرب الأوسط ،وارتبطت هذه البطون بتلك المنطقة قبل قدوم المسلين وكان لهم فيها ملك كبير فأقره الإسلام عليه [3] ، وتمثلت الحكومة في زعماء بطن من القبيلة ذات نفوذ يعتمد علي العصبية وتتوافر فيه شروط الرئاسة في المجتمع القبلي مثل النسب والشرف والحسب والغلب ، وضرورة اشتراط الغلب هو أن المجتمع القبلي مكون أساسا من وحدات أو جماعات يفرق بينهما النسب القريب أو البعيد فهي بمثابة أخلاط ، ولكي تشكل هذه الجماعات المتغايرة والمتنافرة وحدة كبري تضمها جميعا لابد من غلبة أحدها علي الباقي [4] ؛ واستمرت الغلبة والزعامة لبيت واحد وهم بنو خزر من مغراوة تلك البطن التي تزعمت زناته منذ قدوم المسلين وحتى قضاء بني زيري عليها .

---

[1] – رايموند كارفيلد كيتيل ، العلوم السياسية ، ترجمة فاضل زكي محمد ، مكتبة النهضة ، بغداد ط٢ ١٩٦٣ م ، ١ ص٢٦

[2] ـ محمد القبلي ، الدولة والولاية ، ص٧٢

[3] – ابن خلدون ، العبر ، ٧ص٢٤

[4] ـ محمد عابد الجابري ، العصبية والدولة ، مركز دراسات الوحدة العربية ط٦ بيروت ١٩٩٤م ، ص ١٨٠-١٨٢

يرى ابن خلدون أن العصبية الغالبة بطبيعتها تسعي إلي التغلب علي العصبيات الأخرى واستتبا عها وأدراجها تحت لوائها ، (ثم أن القبيل الواحد وإن كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوي من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبري) [1] وتلك العصبية الكبرى إنما تكون لقوم أهل بيت ورئاسة فيهم وهو ما ينطبق علي بني خزر ، ووفقا لما قاله ابن خلدون فهي أقوي عصبية في مغراوة جمعت حولها بيوتات وعصبيات القبيلة المتعددة بالغلب وبالقوة حيث استتبعتها واستلحمتها وصارت كأنها عصبية واحدة كبري [2] .ويري أحد الباحثين أن هناك طريقة أخري لقيام الدولة العشائرية أو القبلية وهي طريقة التراضي وليس الغلب ؛ بمعني التوزيع والاشراك والتقيد بمبدأ المحافظة علي التوازن بين مختلف البطون والفصائل والمكونات العصبية مما يضمن التفاهم والتآزر والإجماع أو شبه الإجماع علي الأقل [3] . وأيا ما كان السبب في الاستتباع والاستلحام الغلب أم التراضي ؛ فالغالب علي الظن أن محمد بن خزر جمع بين الغلب والتراضي (الترغيب والترهيب) في طريقه لبناء دولته كمرحلة أولي ؛ واستعان ببطون قبيلته في تأسيس دولة وفقا للنظرية السياسية التي تري أن الدولة هي تطور مباشر للقبيلة [4] .

يقوي الدين أو المذهب الديني والمصالح الاقتصادية من لحمة الدولة القبلية [5] وتماسكها والدليل علي ذلك ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م ضد الدولة الفاطمية ، حيث اعتمد أبي يزيد علي المذهب الخارجي الإباضي بجانب العصبية في ثورته ؛ مما وحد بين بطون زناتة في منطقة المغرب الأوسط وصارت قوة لا يستهان بها سيطرت علي المغرب الأوسط وجل إفريقية [6] ، لكن الدول الصغرى التي لا ترقي إلي درجة الإمبراطورية بالتعبير المعاصر لا تحتاج إلي المذهب الديني في قيامها بل تقوم علي العصبية وحدها [7] وهذا الشكل من الدول فيما يبدو هو الذي استهوي أبن خزر حيث اعتمد علي العصبية أولا وراح يبحث في مرحلة تالية عن مشروعية دينية تزيد من لحمة دولته ويستكمل بها الشكل القانوني لها دون المساس بالسيادة ، ويؤكد ذلك أنه أيد أبا يزيد في ثورته استجابة لنداء العصبية وليس لنداء المذهب الديني ؛ فأبيزيد خارجي إباضي وابن خزر سني مالكي [8] ، لكن يفهم من ابن خلدون أنه لايوجد في تاريخ الإسلام دولة قائمة علي العصبية وحدها أو علي الدعوة الدينية وحدها أو علي التنظيم العقلي وحده (العدل الإنساني المحدود)، وإنما لابد من توافر الثلاث دعائم هي العصبية ، الشرعية ، العدل ، والعدل هنا مرتبط بمدلوله المحدود المنوط بالمصلحة الدنيوية من حيث تنظيم تنازع الناس وتدافعهم والمحافظة علي الأمن ، أما العدل

[1] - أبن خلدون ، المقدمة ، ص١٣٩، ويقول أيضا عن الغلب " أن العصبية متألفة من عصبيات كثيرةوتكون واحدة منها أقوي من الأخري كلها فتغلبها وتستولي عليها حتى تصيرهما جميعا في ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب " أنظر ص١٦٦

[2] - الجابري ، العصبية والدولة ، ص١٩٠

[3] - محمد القبلي ، الدولة والولاية ، ص٨٠

[4] – كيتيل ، العلوم السياسية ، ١ ص٨٦

[5] - نفس المرجع والصفحة

[6] - أبن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ ص٢٢٨

[7] - الجابري ، العصبية والدولة ، ص ١٩٠

[8] - ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٤٩٨

القائم علي الحرية فلا وجود لشيء من ذلك في الدولة مهما اتصفت بالنظام والعقل [1] ، ومن هنا وجد ابن خزر في مسألة التنظيم العقلي (العدل الإنساني المحدود) نظاما آمنا لضبط الدولة والمحافظة علي كيانها من الفوضي من خلال هذه الدعامة .

أخذت دولة ابن خزر شكل شبه مستطيل مع الأخذ في الاعتبار حالات المد والجذر التي طالت الدولة خلال قيامها ، والدولة في العصور الوسطي لم يكن لها حدود ثابته إنما تخوم ، وخاصة في الدول القبلية التي يظعن سكانها بأغنامهم وينتجعون بإبلهم وخيلهم وراء الكلأ؛ مما يجعل تعيين حدود للدولة من ضروب المستحيل إنما يمكن رصد تخومها ، ويتوقف مدي نفوذ الدولة واتساع رقعتها علي حال عصبيتها من جهة ، وحال العصبية في المناطق التي تحكمها ، أو التي تريد بسط سلطانها ونفوذها عليها من جهة أخري ، فـإذا كانت عصبية الدولة شديدة الالتحام والقائمون بها كثيرو العدد فإن ملكهم يكون أكثر اتساعا وسلطتهم أقـوي نفوذا [2] ، (كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائمين بها الممهدين لها لا بد من توزيعهم حصصا علي الممالك والثغور التي تصير إليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو ... فإذا توزعت العصائب كلها علي الثغور والممالك فلابد من نفاد عـددها وقـد بلغـت الممالك حينئذ إلي حد يكون ثغرا للدولة وتخما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها) [3] ، ذلك قول أبن خلدون قننـه تومبي في نظريته التحدي والاستجابة ؛ أي أن شكل الدولة وحجمها تتحكم فيه العصبية عددا وقوة ، بحيـث تتعرج تخومها وفقا لمضارب ونفوذ عصبيتها . تبدأ تخوم دولة ابن خزر الشرقية من مضارب مغراوة فـي منطقة الشلف حتي تلمسان٤ وجبال مديونة في الغرب ، ثم تمتد إلي الجنوب لتشمل سهول الشلف ثم الأغواط التي بين الزاب وجبل راشد٥وطبنة وبسكرة ثم وارجلان٦ وهي مضارب في معظمها لبنـي خـزر ،أمـا بالنسبة لجيرانها من الناحية الغربية فالتخوم شبه ثابتة معهم ؛ ففي شمالي المغرب الأقصى كـان الأدارسـة الذين يرتبطون بعلاقات طيبة مع بني خزر ، وفي جنوبي المغرب الأقصى دولة بني مدرار التي لـم تكـن علي عداء معها، المشكلة تكمن في تخوم الدولة الشرقية فكانت مع دولة بني رستم ثم بعد ذلك مع الفاطميين ، فقد كان المد علي حساب بنى رستم خاصة في مرحلة الشيخوخة ، حيث سمح ضعف الدولـة إلـي إقامـة إمارات زناتية اعتزالية صغيرة حول العاصمة تاهرت نفسها ٧ .

---

1 - عبد الله العروي ، مفهوم الدولة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٨٨م ، ص٩٨

2 - الجابري ، العصبية والدولة ، ص٢١٢

3 - أبن خلدون ، المقدمة ، دار القلم بيروت ١٩٩٢م ، ١٦١

4 – السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ،٢ ص ٩١٩

5– ابن خلدون ، العبر ، ٧ص٤٨ ، ٨٦

6 – أبو زكريا ، السير ، الشماخي ، أبي العباس أحمد بن معيد ، كتاب السير ، تحقيق محمد حسن ، تونس ١٩٩٥م ص ٣٣٢

7 – عبد الرحمن بشير ، المعتزلة في المغرب الأوسط عصر الدول المستقلة ، ضمن كتاب تذكاري بمناسبة تقاعد ا.د. قاسم عبده قاسم ،دار عين القاهرة ٢٠٠٣م ص

وبالتالي لم يكن من الصعب علي أمراء بني خزر الزناتيين الهيمنة علي مناطق واسعة شرقي دولتهم وفرض نفوذهم عليها خاصة أن معظم هذه المناطق يضرب فيها بطون من مغراوة١ ، لكن التغيير الذي طرأ علي مراكز القوي السياسة والعسكرية في إفريقية المجاورة وطال المغرب الأوسط بوصول الفاطميين إلي القيروان سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م أدي إلي تغيير خريطة الدولة من الناحية الشرقية بين الحين والآخر ، وهذا الشكل - شبه المستطيل - من الدول يخلق عقبات كثيرة في وقت الحروب ؛ إذ أنه يؤدي إلي إطالة خطوط الإمدادات ، كما أنه يجعل من العسير الدفاع عن كل أطراف الدولة٢ ؛ فعندما كان أبن خزر في الجنوب يقاتل الفاطميين لم يكن باستطاعته أن يرد كيد موسى بن أبي العافية زعيم مكناسة الموالي للفاطميين في شمال دولته٣ ، حيث هاجم الأدارسة في نكور وجراوة وأرشقول وطرد عمال وقواد محمد بن خزر من أعمالهم ومناطق نفوذهم [٤] . إلا أن امتداد نفوذه من بسكرة علي خط مواز إلي الأغواط ومنها إلي صحراء زناتة جعله يفرض سيطرته علي منطقة حيوية بشكل كامل ودقيق ، بحيث اعترض رسل داعية الفاطميين ولم يمكنهم من اختراق مناطق نفوذه والعودة بالرسائل التي حملوها من إمامهم المتخفي في سجلماسة [5] .

ظلت التخوم الشرقية لدولة محمد بن خزر بين المد والجذر وخاصة منطقة الزاب حيث استولي علي هذه المنطقة الحدودية التي تقع بين أملاكه في المغرب الأوسط وبين إفريقية سنة ٩٢٦/٣١٤م حين استنجدت به قبائل لماية وما جاورها من القبائل الضاربة في المنطقة والتي تمردت علي الفاطميين[٦] وفي سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م خرج أبو القاسم ابن الخليفة المهدي علي رأس جيش لاسترداد الزاب ولكنه لم يقابل ابن خزر الذي انسحب أمامه في الصحراء رغبة في استدراجه ، ولكن أبا القاسم عاد أدراجه واختار وهو في طريق عودته منطقة الزاب لبناء مدينة المسيلة في مضارب بني برزال الزناتيين لتسهل مراقبتهم وتكون مدينة حاجزة بين الفاطميين وزناته[٧] وفي سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م طرد ابن خزر أولياء الشيعة من الزاب وملك

---

1 - أنظر قبله ، لم تطغ العصبية علي المذهبية في بلاد المغرب ، وإنما تم تتطويع العصبية لخدمة المذهبية ، وفي هذه الحالة كان هناك خلاف مذهبي بين بطون مغراوة في المغرب الأوسط وهذا لم يؤثر علي التعاون والتحالف فيما بينها

2-محمد الديب ،الجغرافيا السياسية ، الأنجلو المصرية ،١٩٨٩، ص ٢١٢

3 -ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ص١٩٤، ٢١٣ ؛ ابن خلدون ، العبر ،٦ ص١٣٤-١٣٥ ؛٧ص٢٥ ؛يحسم

4 - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص١٩٤

5- ابن حماد ، أخبار ملوك بني خزر وسيرتهم ، ص٤٥

6 - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ص١٩١

7 - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣ص٢٦٨ ؛ يحسم القاضي النعمان القضية مبكرا بين الفاطميين ومحمد بن خزر عندما يصف رحلة الداعي أبو عبد الله الشيعي إلي سجلماسة لفك أسر المهدي سنة ٢٩٦هـ فيقول: " فأتاه محمد بن خزر وهو يومئذ أمير زناته كلها وقبائل البربر بأسرها ، فوافاه بطبنه يسأله لأمان متاطارحا عليه وملقا نحوه بيديه، فأمنه وقومه وأخذ عليه العهد واستحلفه أن لا يفتك ولا يغدر ولا يتعدي علي أحد من الأولياء في حياته ولا بعد وفاته وأطلق سبيله " (رسالة افتتاح الدعوة ، ص ٢٣٦) لم يرد في أيا من المصادر ما يؤيد استسلام محمد بن خزر لأبي عبد الله الشيعي فكيف وهو " أمير زناته وقبائل البربر كلها " علي حد قول القاضي النعمان وبطلب الأمان بهذه السهولة دون معركة ؟

شلف وتنس من أيديهم وملك وهران التي أستولي الفاطميون عليها سنة ٢٩٧ هـ/٩١٠م[1] وولي عليها أبنه الخير ، وبث دعوة الأمويين في المغرب الأوسط [2] ، ويرصد لسان الدين بن الخطيب دولة محمد بن خزر في أقصي اتساع لها في قوله (وكان محمد بن خزر المغراوي الزناتي ملك تاهرت ووهران وتلمسان وسائر بلاد زناتة) [3] .

ولما كانت حياة الدول علي أربع أطوار كما يقول ابن خلدون [4] ، هي النشأة والشباب والنضج والكهولة ، فكان علي ابن خزر أن يبدأ في بناء دولته الجديدة وفق نظرية ابن خلدون ، حيث قضت دولته فترة نموها الأولي في المناطق الجبلية حتى اشتد ساعدها وانتقلت إلي طور الشباب ؛فاختار ابن خزر مكان عاصمة الدولة الناشئة بين ظهراني أبناء جلدته بطون الأغواط المغراويين٥، الذين اشتهروا بالنجدة والامتناع٦ وكانوا يضربون بين الزاب وجبل راشد حيث تحمل المنطقة اسمهم٧ بعيدا عن متناول القوي الكبرى في المنطقة . ووفقا للمنظور الجغرافي فإن موقع العاصمة يتوسط ملكه ،ووفقا للمنظور السياسي فإن الموقع المتوسط للعاصمة يتيح لها الحماية من السقوط في حالة الحرب لأن ضياع العاصمة يحطم معنويات الدولة٨ ، وقد يأتي علي بنيانها من القواعد ، (وإذا غلب علي الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنطاق بل تضمحل لوقتها) [9] ، فقد سقطت دولة المرابطين عندما دخل المهدي بن تومرت عاصمتهم مراكش (لعلمه أنه لا يظهر أمره إلا منها) [10] فحسه السياسي جعله يعلن دعوته من العاصمة ليعلن سقوط دولة المرابطين ، واختيار الأدارسة مدينة فاس التي تقع في متوسطة ملكهم كعاصمة لهم بدلا من العاصمة الانتقالية وليلي المتطرفة التي تأوي مضارب قبيلة أوربة التي أراد إدريس أن يتخلص من سلطانها عليه ، وكما لجأ ابن خزر لعصبيته رحب إدريس بالعرب الوافدين علي عاصمته فاس من القيروان للاعتماد عليهم في بناء دولته خوفا من غدر البربر [11] .

1- البكري ، المغرب ، ص٧٠
2- ابن خلدون ، العبر ، ٧ص٢٥
3- أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص ١٥٣-١٥٤
4- ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٧٠
5- ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠١
6 - ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص٤٨
7 - ابن خلدون ، العبر ، ٧ص٤٨ ، ٨٦
8 - محمد الديب ، الجغرافيا السياسية ، ص٢٢٥
9- ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٦٢
10- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢٦٤
11- ليفي بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح حلمي ، مؤسسة شباب الجامعات ، الإسكندرية ١٩٩٠م ، ص ٣٧

تأسيس العاصمة يعني في العرف السياسي الاستقلال، وهو ما فطن إليه معاوية بن أبي سفيان حين أن أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان لتكون عاصمة لبلاد المغرب ؛ فعزله بعد أن فرغ لتوه من بناء المدينة خوفا من الاستقلال بالولاية ، كما أن الصراع الذي دار بين زيري بن عطية المغراوي حفيد محمد بن خزر و المنصور بن أبي عامر صاحب الأمر والنهي بالأندلس في عصر هشام المؤيد بدأ مع إختطاطه مدينة وجدة في المغرب الأقصى عاصمة جديدة لملكه سنة ٣٨٤ هـ/٩٩٤م [1] ، وعاصمة مغراوة قديمة وتاريخية وهي كذلك عاصمة لكل بطون زناتة منذ قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، وهي مدينة تلمسان (دار مملكة زناتة) [2] ، ولم يكن اختيار هذه المدينة من جانب زعماء زناتة عاصمة بالصدفة بل كانت عن دراسة استراتيجية واقتصادية تخدم الظروف القبلية وتلبي الاحتياجات الأساسية للمجتمع الزناتي ؛ فهي مقصد للتجار ، وقفل بلاد المغرب الأقصى لابد للداخل أو الخارج الاجتياز بها لوقوعها علي مضيق تازا [3].

فرضت مغراوة أقوي بطون زناتة سلطانها علي بلاد المغرب الأوسط من العاصمة تلمسان ، ويظهر ذلك في أول محاولة للأدارسة للأطلال من نافذة تلمسان علي المغرب الأوسط حيث رحب محمد بن خزر الأول زعيم مغراوة بهم باعتبارهم من البيت النبوي الذي يعطي صفة المشروعية [4] ، وظلت تلمسان كما هي عاصمة لبني خزر حتي تركها محمد بن خزر الثاني واختار عاصمة أخري في الجنوب ، ولكنها ظلت تحت سيطرة زناتة وتحظي بالاستقلال السياسي في خضم الصراع الفاطمي الزناتي حتى خروج الفاطميين من بلاد المغرب ، ويرجع ذلك إلي القوة الزناتية الضاربة في منطقة تلمسان فضلا عن الظهير الزناتي في جنوبي المغرب الأوسط الذي يمكن استنفاره بسرعة لحماية العاصمة تلمسان من أي خطر ، والسبب الثاني هو أن الفكر الاستراتيجي لدي الفاطميين كان علي صواب بتفادي الدخول في معركة غير مأمونة الجانب ؛ فيما يمكن الوصول إلي نتائج مضمونة دون خسائر من خلال خنق تلمسان بالاستيلاء علي تاهرت ووهران وإخضاع الأدارسة ومن بعدهم موسي بن أبي العافية، وهو ما حدث بعد ذلك في تغريبة جوهر الصقلي وزيري بن مناد سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م [5] عندما راق لهم المغربين الأوسط والأقصى ماعدا تلمسان ووادي

---

[1] - ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص٣١، ٣٢ ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، العصر الأول القسم الثاني، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٩م ص ٤٢٥ - ٤٢٦ ص٥٤٦ ؛ دعا المنصور زيري إلي الاندلس سنة ٣٨٢ هـ واستقبله بقبول حسن ونوه باسمه في الوزارة وأقطعه رزقها . كان زيري يرغب في إعادة أمجاد أجداده من بني خزر لذلك أنف من ذلك المنصب الذي لا يلبي طموحاته ينم عن ذلك قوله لبعض حشمه الذي دعاه بالوزير " وزير من بالكع فاوالله إلا أميرا بن أمير" (ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص٢٩ ، ٣٠)وأنشأ قاعدة جديدة لمغراوة تكون عاصمة له بين مضارب عصبيته في وجده الواقعة جنوبي شرقي مليلة ، وعلي مقربة من جنوب غربي تلمسان لتكون واسطة بين المغربين الأوسط والأقصي (محمد عبد الله عنان ،المرجع السابق ، ص ٥٤٧) .

[2] - ابن خلدون ، العبر ٧ ص٢٢، تداول أبناء العم بطون مغراوة وبني يفرن الزعامة علي تلمسان ، وفي أواخر دولة بني خزر كانت بيد يعلي بن محمد اليفرني تحت نفوذ الناصر الأموي ، وتوفي فيها ، ثم خلصت لمحمد بن الخير بن محمد بن خزر تحت نفوذ الحكم المستنصر الأموي ، ثم غلبت عليها صنهاجة بعد هزيمتها لحفيد محمد بن خزر ، راجع ، القلشندي ، مآثر الأناقة ، ١ص٣١٠، ٣١١.

[3] - الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٩م ، ١ ص ٢٥٠

[4] - ابن خلدون ، العبر ، ٦ص١٢٢، ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص١١

[5] - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص٢٢٢

شلف مضارب مغراوة [1] ، ويضيف أحد الدارسين [2] سبب ثالث هو أن الجيوش الفاطمية لم تحاول غزو تلمسان مثلما لم تحاول غزو سبتة لوجود قوات بحرية أموية مرابطة في كليهما حيث كان أسطول الناصر مرابطا عند مدينة أفسلان التي كانت من عمل تلمسان وتخضع لمغراوة [3] وبالتالي تتفادى القوات الفاطمية مواجهة مع قوات الأمويين ، فلما ضعف البيت الخزري قرر زعماء مغراوة البحث عن عاصمة تكون نواة لإحياء الدولة من جديد في الجنوب مع وجود تلمسان في الشمال دارا لكل بطون زناتة ، وحتي تكون العاصمة الجديدة بمنأي عن سلطان الفاطميين ، وبعيدة عن متناول جيوشهم .

اتخذ محمد بن خزر من الغوط [4] جنوبي المغرب الأوسط عاصمة جديدة بدلا من تلمسان خلال مرحلة إعادة البناء والتقاط الأنفاس [5] وإن لم تحدد المصادر تاريخا لاتخاذه تلك العاصمة ، إلا أنها من المفترض أن يكون قد تأسيسها بعد وفاة محمد بن خزر الأول ؛ لأنه كان من القوة التي تجعله يحتفظ بعاصمة في الشمال بجانب بني رستم في الشرق والأدارسة في الغرب أي في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وربما كان السبب في التفكير في هذه العاصمة آنذاك هو الاتجاه إلي الانعزالية والبعد عن مناطق الصراع في الشمال ، ولشحذ الهمم وترتيب البيت الخزري بعد موت محمد بن خزر الأول وضعف خلفائه الذين لم يذكرهم التاريخ إلا في بداية صدامهم مع الفاطميين ، فكانت تلك العاصمة نواة جديدة لدولتهم داخل مضارب بطون عصبيتهم مغراوة ، ومبتدأ لنهضتهم من خلال قربها من تجارة بلاد السودان . ورحلة العودة إلي حضن العصبية الزناتية في جنوبي المغرب الأوسط تحمل في مدلولاتها استلهام القوة من عصبية بني خزر القريبة واستلحامها بالعصبيات البعيدة الضاربة في المنطقة وهو تقليد قبلي يلجأ إليه من يحس بضعف أو يضام من أهل العصبية ؛ يؤكد ذلك فرار أبي يزيد كيداد إلي صحراء مدينة بني خزر ، الواقعة قرب مدينة بسكرة علي أثر هزيمته أمام إسماعيل الفاطمي (المنصور) بالقرب من المسيلة [6] ، وكذلك إنتزاء زيري بن عطية المغراوي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م إلي صحراء المغرب الأوسط حيث الظهير الزناتي علي أثر هزيمته أمام عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر ليلملم جراحه ويستصرخ مغرواة ويستنفرهم ضد صنهاجة الشمال الموالية ودولتهم بني زيري [7] . لذلك كانت الأغواط عاصمة انتقالية ريثما تتضح المعالم السياسية للمغرب

---

[1] - سنوسي يوسف ، زناتة والخلافة الفاطمية ، ٢٦٩

[2] - سنوسي يوسف ، زناتة والخلافة الفاطمية ، ص٢٦٩

[3] - ابن عذارى ، البيان المغرب ،٢ ص٢٣٨

[4]- وتسمي أيضا الأغواط ، راجع ، ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٧٠ ، وهي تبعد حوالي ٤٠٠كيلو متر إلي جنوب الجزائر

[5] – ابن حيان ، المقتبس ، نشر شالميتا ، المعهد الأسباني العربي للثقافة ، كلية الآداب بالرباط ، مدريد ١٩٧٩م ، ٥ ص٣٠١

[6]- ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ٦٨؛ وعن مضارب بني خزر في بسكرة انظر ، البكري ، المغرب ، ص٥٢

[7] - بعد خروج زيري بن عطية المغراوي علي طاعة المنصور بن أبي عامر أجاز الأخير إليه ولده عبد الملك علي رأس جيش كبير ، حيث دارت معركة بين الجانبين في أحواز طنجة هزم فيها زيري وأصحابه (لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص ١٥٨-١٥٩) ؛ ولجأ إلي عصبيته من زناتة في المغرب الأوسط ليحتمي بها ويستجمع قواه ثم يعود مرة أخري ليحارب صنهاجة ويطلب العفو من المنصور حتى مات سنة ٣٩١هـ (مجهول ، نبذ تاريخية ، ص ٣٢)

الأوسط في ظل صراع القوي وهي عادة اتبعتها كثير من دول المغرب في قيامها مثل الأدارسة والفاطميون وغيرهم .

أضحت لمحمد بن خزر الثاني سمعة وشهرة فاقت شهرة جده الأول ، وقوة ومنعة يستطيع بها أن يحافظ علي كيان دولته وعلي وحدة عصبيته جعلت القوي المتصارعة تخطب وده وتبتغي قربه ووصله ؛ فما كان منه بعد أن أذكي العين وأعمل الفكر، وبعد أن آنس في نفسه القوة أطل برأسه إلي الشمال بحثا عن عاصمة جديدة بين مضارب عصبيته تكون بداية مرحلة جديدة لدولته ، وغير بعيد عن البحر ، وفي وادي متسع يغذيه نهر جار لتكون مستقرا ومقاما له ومركزا لقيادته ، وفي خطاب من محمد بن خزر إلي الناصر الأموي يروي فيه بدبلوماسية فائقة أنه لم يترك عاصمته القديمة في الجنوب خوفا أو ذله " ولا تغير حال ولا شدة ، وإنما أخرجنا عنه بقضاء الله حبنا الدنو منك .... فأجمعنا الانتقال بالكلية إلي أطراف أعمالنا وحواشي كورنا من نحو المراسي المنتظمة بجزيرة الأندلس"[1] أي أن هناك ضرورة لنقل العاصمة صوب اتجاه يحقق للدولة مكاسب سياسية وأخري اقتصادية ؛ فاختار مدينة تسفا المشهورة بمدينة العلويين[2] التي تقع بين وهران ومليلة[3] علي مقربة من وادي تافنا وإلي الغرب من تاهرت بثلاثة أيام "وهي حصينة أولية متوسطة للمراسي التي تقابل مراسي الأندلس .... بينها وبين المراسي أقل من يوم "[4] لتكون عاصمة جديدة لدولته في طورها الجديد .

لا يمكن تحقيق تاريخ محدد لاتخاذ ابن خزر هذه المدينة عاصمة لدولته فابن حيان [5] يورد بلاغ محمد بن خزر للناصر باختياره العاصمة في أخبار سنة ٣١٩هـ/٩٣١م أي أنه اختارها قبل ذلك التاريخ ، والغالب علي الظن أنها دشنت خلال العقد الأول أو الثاني من القرن الرابع الهجري . مهد إلي ذلك سيطرة زناتة علي نفس المدينة خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بعد أن تركها الأدارسة[6] . وهنا سؤال يطرح نفسه لماذا لم يختر محمد بن خزر تلمسان مرة ثانية لتكون عاصمته في مرحلة قوة الدولة ؟ لم تسعفنا المصادر

---

1 - أبن حيان المقتبس ، ٥ ص ٣٠١ – ٣٠٢

2 - ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٠ ؛ يورد اليعقوبي مدينة العلويين في الطريق ما بين تلمسان ونكور حيث كانت "في أيدي العلويين من ولد محمد بن سليمان (الإدريسي) ثم تركوها فسكنها رجل من ابناء زناتة يقال له علي بن حامد بن مرحوم الزناتي " البلدان ، ص ٣٥٦ ؛ و يورد ابن حوقل مدينتين باسم العلويين في الطريق ما بين فاس والمسيلة واحدة بعد جراوة وقبل تلمسان بمرحلة ، والأخرى بعد تلمسان ؛ صورة الأرض ، منشورات دار الحياة بيروت ، ص٨٨، والإدريسى يقول (تخرج من تلمسان إلي قرية العلويين وهي قرية كبيرة عامرة علي ضفة نهر ، ولهم بها جنات ومياه جارية من عيون ، ومنها إلي تلمسان مرحلة) نزهة المشتاق ،١ ص٢٤٨،٢٥٠.

3 - ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٩

4 -ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٠ – ٣٠١

5 - ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠١

6 - اليعقوبى ، البلدان ، ليدن ١٨٩٢م، ص ٣٥٦

بإجابة شافية ، ولكن الغالب علي الظن أن محمد بن خزر أراد أن يبني لنفسه مجدا وقرر اختيار العاصمة في مدينة تكون خالصة له ولمغرواة ؛ فتلمسان تتنازعها بطون زناتة بين الحين والأخر فهي دار لملك القبيلة بأكملها ، والعاصمة الجديدة ليست ببعيدة عن تلمسان ؛ إذ تبعد عنها بمرحلة [1] (حوالي ٤٠ كيلو تقريبا) وبالتالي أراد أن يجمع بين الخصوصية وقربه من دار ملك زناتة ، ومع ذلك ظلت تلمسان ضمن أملاكه وخلصت لولده الخير من بعده [٢]

يتضح الهيكل العام للدولة البربرية من خلال الهرم الحكومي القبلي فالبربر " فيهم ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم "[٣] ، ويبدو أن محمد بن خزر قد طور في هذا النظام ليوافق المرحلة الجديدة ، فكما اختار الشرعية الأموية ، اختار أيضا النموذج الأندلسي الإداري للتطبيق في دولته بجانب الخبرات الإدارية المشرقية ومزج بينهم بطريقة تلائم بلاد المغرب، حيث خطت الأندلس خطوات كبيرة في هذا المجال [٤] . ويتضح من رسائله للناصر أنه استلهم التقسيمات الإدارية الأندلسية [٥] ، وقسم دولته إلي أعمال وكور وكل كورة يتبعها عدد من الأقاليم (حواشي) ساعده في أدارتها أبناءه وإخوته ٦، فبهم (يقارع الخوارج علي دولته ، ومنهم يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته وجباية أمواله لأنهم أعوانه علي الغلب وشركاؤه في الأمر) [٧] والهيكل العام للدولة ثابت منذ صولات بن وزمار كما أسلفنا ؛ فولاية العهد للابن الأكبر ، حيث عقد ابن خزر ولاية العهد لولده الخير ، واسند إليه العديد من المهام التي تؤهله لقيادة الدولة في المستقبل ، ووصفه ابن حيان بالأمير [٨] ، وسمح له والده بمخاطبة (الناصر لدين الله باسمه ، معرفا له ما يجري من الأخبار علي يده في الجبهة التي يقوم بها من مدينة وهران وما يليها) [٩] حيث تولي الخير مهمة الولاية علي وهران وتنس ومدينة شلف بعد أن استخلصهم من أيدي الفاطميين [١٠] .

أدار محمد بن خزر دولته من العاصمة وفق قناعا ته الجديدة من خلال جهاز إداري يتكون من عدد من المؤسسات المركزية يمسك بكل خيوطها وينفذ سياستها أبناؤه وأخوته الذين اشتركوا معه في بناء الدولة . لجأ ابن خزر إلي هذا النظام المركزي حتى لا تتفتت الدولة أخذا في الاعتبار الدروس المستفادة من نجاحات الدول المشرقية وإخفاقاتها ؛ فالدولة الرستمية ظل نظام الحكم فيها مركزي إلي أن انهارت بعد وفاة الإمام

1- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ١ ص٢٤٨
2- أنظر قبله
3 – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٩٧
4- توسع الناصر في الأنظمة الإدارية التي تحقق الأمن لبلاده ، وخاصة في نظام الشرطة ، ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٢٥٢
5- عن التقسيمات الإدارية في الأندلس راجع ، مجهول ، الأندلس وما فيها من بلاد ، تحقيق ، خالد الجبالى ، دار البشير ، عمان ٢٠٠٤م
6 – ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص ٢٥٨ ، ٣٠٢
7- ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٨٣
8- المقتبس ، ٥ ص٤٦٠
9- ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٢٥٩
10- ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٢٦٠

وانقسمت الدولة بين المنشقين ، ودولة الادارسة أخذت نفس المنحي ثم تفتت بعد إدريس الثاني ، ودولة الأغالبة تأجل تفتيت وحدتها بفضل الدور الجهادي الذي قامت به في صقلية ، أما النموذج الأندلسي في المركزية الإدارية أيام الناصر فكان في عز تألقه فهو الذي لملم شتات الأندلس بعد بعثرتها إلي كيانات سياسية صغيرة ، وكان السبب في قوة الأندلس ووحدته ، وبالتالي كانت كل هذه التجارب أمام عين محمد بن خزر بكل مزاياها ومثالبها عندما كان في طور بناء جهاز أداري لدولته الجديدة ، فكما يقول أبن خلدون (وأهل الدول يقلدون في طور الحضارة وأحوالها للدول السابقة قبلهم فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون)[1] .

والغالب علي الظن أن هذه المؤسسات الإدارية المركزية كانت عبارة عن ديوان للعلاقات الخارجية منوط بعلاقات الدولة بالخليفة الناصر يستقبل السفارات منه ويرسلها إليه ويشير ابن حيان[2] إلي السفير محمد بن عبد الله بن أبي عيسي الذي أوفده الناصر لمحمد بن خزر (يشافهه بما يجب من توطيد الدولة بأرض المغرب) وإلي السفارات التي أرسلها محمد بن خزر للناصر متحفة (بغرائب هداياه) . ويري ابن خلدون [3] أن ديوان الرسائل والكتابة (الإنشاء) غير ضروري في الدول العريقة في البداوة (التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا انتظام الصنائع) وبما أن ابن خزر أخذ بأسباب الحضارة في مجالات شتى فإن الرسائل التي أرسلها إلي الناصر لا بد وأنها صيغت في ديوان للإنشاء ؛ فالعربية فيها رصينة وألفاظها جزيلة ومفرداتها منتقاة فلابد أن تصدر هذه الرسائل عن خبراء في اللغة العربية التي كانت حتى ذلك الوقت مازالت تحبو في بلاد المغرب مما يعني استعانة ابن خزر بكتاب من العرب للعمل في هذا الديوان ، وتذيل هذه الخطابات بخاتم محمد بن خزر أو بخاتم الخير ، وفي العادة كان الخليفة الناصر يرسل خاتما من خواتمه الخاصة منقوشا عليه اسمه يختم به أيضا علي هذه الرسائل[4] وهي عادة كتاب المغرب حيث يعرفون بدس الورق ويجعلون علي مكان الدس قطعة من الشمع يختمون عليها بخاتم[5] .

كما أن جيشا يحرز هذه الانتصارات لابد له من ديوان يباشر تنظيمه وإعداده ويضع الخطط اللازمة لتحركا ته . فالدولة تحتاج إلي جيش قوي يحمي حريتها واستقلالها ويردع من تسول له نفسه الاعتداء عليها . وفرت مناطق نفوذ مغرواة في المغرب الأوسط لجيش محمد بن خزر الكثير من معدات وأدوات الحرب ، حيث اشتهرت منطقة تلمسان بالعنصر الأساسي من هذه المعدات الحربية وهي الخيول لاسيما وجدة وجبال فازاز ، ويقر ياقوت[6] بشهرة تلمسان بالخيل الراشدية التي لها فضل علي سائر الخيل ،

1- أبن خلدون ، المقدمة ، ص١٧٢
2 - المقتبس ، ٥ ص٢٥٨
3- المقدمة ، ص٢٤٦
4 - ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٤٦٠
5- أبن خلدون ، المقدمة ، ٢٦٦، والدس هو إدخال الشيء من تحته راجع أبن منظور ، لسان العرب ، مادة دسس باب الدال
6- معجم البلدان ، ٢ ص٤٤

ويري أحد الباحثين [1] أن هذه المنطقة هي منطقة الخيول الأساسية في البلاد الغربية لشمالي أفريقيا ، ويقوم علي تربيتها بطون زناتة خاصة بنو مرين ، وبجانب الخيل كمادة حربية أسياسية [2] من إنتاج مناطق نفوذ محمد بن خزر [3] قامت صناعة بدائية لمعدات الحرب مثل الدروع والتراس والدرق [4] ، وبزت شهرة تلمسان في هذا المجال غيرها بلاد المغرب ، (وكما الفارس يتجهز من تلمسان كذلك تتجهز العروس من مرسية) [5] لذلك كمنت قوة محمد بن خزر في جيشه الجرار الذي تصدي به للفاطميين وغازل به الناصر الأموي، ومن ثم تم تطويره ليواكب جيوش الدول بأن أمسي جيشا نظاميا فيه (من خيل ورجال ومساعير الأبطال الكماة ، ذوي عدة وعدد وبأس وجلد من صنوف العشائر وضروب العساكر والحماة والكفاة) [6] ، لكنه ظل في إطاره القبلي يستعمل الطرق التقليدية من والكر والفر وهي طرق قتال العرب والبربر [7] ، والكمين الذي أجادته مغراوة بصفة خاصة وفي ظل عدم وجود العتاد المتطور لحصار المدن خاصة، تطلع ابن خزر إلي الناصر ليمده بها في إطار التحالف المبرم معه. نشر ابن خزر هذا الجيش علي عدد من الجبهات في شرق دولته لمواجهة الفاطميين ، وعهد بقيادة هذه الجبهات إلي أولاده الخير [8] وحمزة ويعقوب [9] وإلي أخوته عبد الله [10] ومسعود [11] ومعبد ، والغالب علي الظن أن ديوان الجيش في دولة محمد بن خزر كان أكبر الدواوين لأن الجيش كان في حالة استنفار دائم لمواجهة الخطر الفاطمي في الشرق .

هذه الدواوين وأسلوب العمل فيها لم تكن من بناة أفكار محمد بن خزر لكنه استلهمها من أنظمة الإدارة في الدول المشرقية ، خاصة الدولة الرستمية ذات الصبغة الفارسية والدولة الأموية بالأندلس كما أسلفنا . لكن يبدو أن هذه الدواوين لم يكن لها الشخصية الاعتبارية الكاملة في دولة مازالت تجتهد في اجتياز الطور البدوي . حتى أن الدول البربرية الكبيرة التي جاءت بعد محمد بن خزر لم تصل إلي المفهوم الكامل للدولة الذي كان في ذاكرته ويرضي طموحه ، فلم يكن لديها وعي سياسي بدليل عدم نقل العاصمة من مراكش في الدولتين المرابطية والموحدية إلي مكان أخر يتوافق مع تغير الظروف السياسية ومع بنية الدولة واتساعها في

---

1 ـ عز الدين موسي ، النشاط الاقتصادي في المغرب ، دار الشروق ١٩٨٣ ، ص ١٩٩-٢٠٠

2 ـ يروي ابن حماد ،(أبي عبد الله محمد بن علي الصنهاجي) في معرض حديثه عن خروج أبي القاسم في جيش عظيم لملاقاة محمد بن خزر سنة ٣١٥هـ (فلما وصل أبو القاسم إلي بلاد المغرب (الأوسط) توغل ابن خزر في الصحاري فارا علي المهاري) مما يلقي الضوء قيمة الخيول في جيش ابن خزر ، أنظر أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق التهامي نقرة ، عبد الحليم عويس ، دار الصحوة القاهرة ١٤٠١هـ ص٤٥.

3 ـ كانت هدية جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي والي المسيلة ، وصنيع الفاطميين إلي إسماعيل (الخليفة المنصور الفاطمي) خمسة وعشرين فرسا من إنتاج منطقة الزاب التي يقع جزء كبير منها في دائرة نفوذ محمد بن خزر ؛ راجع الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ٣٧

4 ـ ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٤٦٠

5 ـ ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ١٩٨٠م ، ٢ ص ٢٤٦

6 ـ ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٣

7 ـ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٧١

8 ـ ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٢٥٩

9 ـ ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٧٠

10 ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ط ٢ بيروت ١٩٩٥ م ٧ ص٣٦

11 ـ ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٢٥٨

بلاد المغرب والأندلس ، رافق ذلك عدم وضوح التقسيمات الإدارية مما انعكس بالسلب علي هذه الدول . قوة الدفع الوحيدة التي أعطت زخم لهاتين الدولتين هي الدعوة الدينية .

تأسست دولة ابن خزر علي اقتصاد الغزو ؛ وهو نمط من الإنتاج البدوي ، حيث فرض هذا الإنتاج علي أصحابه طبيعة مناطق سكناهم وتمثل ذلك أولا في الطبيعة القاسية التي تبخل بالقليل من الخير والرزق ، وثانيا في طبيعة الموقع الجغرافي الذي جعل تلك المناطق طريقا للقوافل التجارية التي تمكنهم من الرسوم التي يفرضونها عليها ، سواء مقابل السماح لها بالمرور ، أو مقابل حمايتها ، (ولهم لوازم علي المجتازين عليهم بالتجارة ... ومن الراجعين بالتبر من بلد السودان)[1] هذا النمط مكن سكان تلك المناطق من الحصول علي نصيب مهم من الثروة الجاهزة دوما[2] . فقبائل زناتة كان منها الخفراء ومنها أيضا قطاع الطرق ، فقد استعانت دولة بني رستم بزعماء من زناتة لحماية قوافلهم التجارية من قطاع الطرق من زناتة ، حيث كان أبو حاتم (قد أخرجه أبوه في جيش مع وجوه زناتة ليجيروا قوافل قد أقبلت من الشرق وفيها أموال لا تحصي قد خافوا من زناتة)[3] .

امتهنت قبيلة زناتة التي مثلت فيها مغراوة الجيل الأول من القرون الأربعة الأولي للهجرة التجارة فضلا عن العمل بحمايتها وخدمتها ، حيث لعبوا دور الوسيط التجاري بين بلاد السودان وأوربا وتكفلوا بكل المنظومة من بدايتها حتى نهايتها ، وظلوا كذلك حتى العصور الوسطي المتأخرة ٤ ، فهاجرت بطون من زناتة المغرب الأوسط إلي مدينة أودغشت للعمل بالتجارة هناك بالقرب من منابع التجارة في غانا من بلاد السودان ، كما أنه بعد سقوط الدولة الرستمية علي أيدي الفاطميين سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م فر العديد من الرستميين وأنصارهم من سكان تاهرت إلي وارجلان وتادمكة وغانا وبلاد التكرور وكانم وبرنو وأودغشت وغيرها من بلاد السودان ، حيث أسسوا لهم أحياء خاصة بهم ، وفي بعض الأحيان مدنا وقري[5] ، وعملوا كوكلاء تجاريين لتجارة السودان بين الجنوب والشمال ، نتج عن ذلك إفراز جيل من المولدين من زناتة مثل أبي يزيد مخلد بن كيداد الثائر علي الفاطميين الذي ولد في تادمكة من بلاد السودان من أمة سودانية[6].

لعبت التجارة دورا هاما في بناء دولة ابن خزر ، وهو نفس الدور الذي قامت به في بناء القوي السياسية الأخرى في المنطقة منذ ابن حبيب مرورا بالدول المستقلة ؛ فالمقدرتان السياسية والعسكرية لأي

---

1 - ابن حوقل ، صورة الأرض ص٩٩

2 - الجابري ، العصبية والدولة ، ص٢٦٤

3 - أبن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، إبراهيم بحاز ، الجزائر ١٩٨٥م ص٩١

4 - oliva constable, trade and traders in Muslim Spain, Cambridge, 1996, p.201

5 - إدريس صالح الحرير ، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية يناير ١٩٨٣م ، ص٧٥-٧٨

6 - (كان كيداد والد أبي يزيد من سكان تقيوس من بلاد قسطيلية ، وكان يختلف في التجارة إلي بلاد السودان ؛ فاشتري في تادمكة أمة تسمي سبيكة فحملت منه وولدت أبا يزيد) أنظر ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ٥٣

دولة تعتمد علي قدرتها الاقتصادية ، وفي بلاد المغرب مثلت التجارة أهم بند من بنود المنظومة الاقتصادية، والعكس صحيح فلم تكن التجارة تدر ربحا إلا إذا اعتمدت علي جاه يحميها [1] ، والمتتبع للنشاط الفاطمي في بلاد المغرب لا يخفي عليه دور التجارة في قيام الخلافة الشيعية ، إذ تمثل الصراع بين الفاطميين وابن خزر في السيطرة علي محاور التجارة في المغرب الأوسط ، ويري أحد الباحثين [2] أن نصـف دخـل الخزينـة الفاطمية كان يأتي من خلال التجارة مع بلاد السودان الغربي عن طريق سجلماسة ، وهـو أحـد طـريقين رئيسيين للتجارة مع بلاد السودان ، حيث يمر هذا الطريق بمناطق نفوذ محمد بن خزر في المغرب الأوسط ، وكان أول إنذار للدولة الفاطمية بخطورة محمد بن خزر علي طرق التجارة هو اعتراض الأخير لرجـال كتامة الذين أرسلهم الداعي الفاطمي عبد الله الشيعي إلي سيده وإمامه عبيد الله المهدي المتخفي في سجلماسة[3] ، وبالتالي استعمل الفاطميون أسلوب الترهيب والترغيب وكذلك كل الطرق الممكنة في الحفاظ علي انسياب هذه التجارة ،كما أن ابن خزر هو الأخر كان في صالحه توفير الأمن للتجارة ليؤمن موردا هامـا لدولتـه ، ويري أحد الباحثين أن القبائل البربرية كانت العنصر الأساسي في انسياب التجارة عن طريق توفير الأمـن والحماية لها في مراحلها المختلفة ٤ .

عندما اطمئن ابن خزر علي الجزء الشمالي من مملكته ونقل عاصمته إلي هناك لم يفرط في سيطرته علي طرق التجارة الآتية من بلاد السودان وحمايتها فهي سبيله إلي النهوض بدولته ، حيث واصلت التجارة مسيرتها من الجنوب لتصل إلي تلمسان ومنها إلي أوربا ٥ ، ومعلوم قيمة تلمسان في هذا المجـال منـذ أن بدأت عملية الانتعاش التجاري لبلاد المغرب مع حقبة عبد الرحمن بن حبيب (١٢٧-١٣٧هـ/٧٤٤-٧٥٤م) حيث غزا ابن حبيب المدينة سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م ليأمن وصول تجارة بلاد السودان إلي أوربا قبل أن يغزو صقلية في نفس العام ليطهر المجري الملاحي إلي أوربا من قراصنة الدولة البيزنطية [6] . وفي رحلتها مـن

[1] ـ الجابري ، العصبية والدولة ، ص٢٧١

[2] ـ إدريس صالح الحرير ، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء ، ٧٥-٧٨

[3] ـ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ٤٥

Michael Berrt, ifriqiya as A market for Sharan trade from the tenth to the twelfth – 4 century, in ibn khaldun and the medieval maghrib , variorum, 1999, p.351

5-chedli schili , L' ifriqiya au carrefour des espaces saharien et Mediterraneen A L'epoque Medievale, les cahiers de Tunisie , Tomes xxxx111 no 155-156,1989,p,242 يبدأ الطريق من تلمسان إلي وجدة ومنها إلي فاس ومنها يتفرع إلي فرعين أولهما إلي صفروي ثم سجلماسة ومنها إلي درعة ثم تادملت ثم أودغشت ومنها إلي بلاد السودان الغربي أو إلي مكناسة الزيتون فجبال فازاز ثم تادلا عبر جبال درن ثم أغمات ومنها إلي أودغشت ثم إلي بلاد السودان الغربي ، والطريق الأوسط يبدأ من تلمسان إلي واحة وارجلان ومنها إلي تادمكة ومنها إلي بلاد السواد ن الأوسط ، أنظر ، اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٦٠ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٩٠-٩١ ؛ البكرى ، المغرب ،ص٨٨، ١٤٦-١٤٧، مجهول ، الأستبصار ،ص١٨٦-١٨٧ ، ١٩٣

[6] ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٤ ص ٥٠٣، ٥ ص ٩٧ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص٦٥ ؛ معلوم قيمة تلمسان الإستراتيجية فضلا عن قيمتها التجارية فأي اجتزاء لها كان يزعج الخلافة العباسية فعندما فتحها إدريس الأول كان تعليق الرشيد علي ذلك هو أن (تلمسان هي باب إفريقية ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار) في إشارة إلي بقية الأملاك العباسية في شمال إفريقيا ، راجع ، الناصري ، الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ص ٢١٣-٢١٤

الجنوب إلي الشمال نثرت التجارة علي بطون مغراوة ريعها ؛ فمنهم من عمل بالوساطة ، ومنهم من عمل في المجتمعات التجارية أو المحطات التي خلقتها التجارة في الصحراء ١ ، حيث كانت مضاربهم تمتد حتى خطوط التماس مع الصحراء المؤدية إلي بلاد السودان ، كما أن الطرق التجارية كانت تمر من داخل مناطق انتجاعهم وظعنهم خاصة في منطقة المغرب الأوسط ٢ ؛ مما وفر مصدر مهم ورئيسي للدخل القومي في دولة محمد بن خزر ، وبصرف النظر عمن يرتاد هذه الطرق من التجار من حيث جنسياتهم أو ديانتهم أو حتى مذاهبهم فإن لغة المصالح وتبادل المنافع هي التي سادت ٣ .

سكت دول غرب المغرب الإسلامي الدينارات الذهبية في وقت مبكر نتيجة توفر ذهب السودان [٤] ،وسك أو إصدار العملة تأكيد علي سيادة الدولة ، والثقة في هذه العملة والإقبال علي تداولها يعني قوة اقتصادية لها ، لذلك فإن تجارة الذهب الآتية من بلاد السودان قد مكنت فيما يبدو محمد بن خزر في سك عملة ذهبية لدولته . لم تسعفنا المصادر ولا نتائج الحفريات الأثرية بأي دليل علي وجودها صراحة ، لكن هناك تلميح في إشارتين إلي وجود سكة في دولة ابن خزر تجعلنا ندلل علي افتراضنا السابق ؛ فلطالما وعد الفاطميين محمد بن خزر بإضافة اسم الخليفة الفاطمي عليها لتضفي عليها نوع من الشرعية والقبول والانتشار الأولي : عند ابن حيان [٥] جاءت في خضم إغراءات الخليفة الفاطمي لابن خزر للدخول في طاعته من خلال رسالة أبن خزر للناصر (ويقول (الخليفة الفاطمي لأبن خزر) لأنه لا يحاول مني ذهبا ولا فضة ، ولا يكلفني نائبة ، غير الافتتاح باسمه ، والخطبة في المنابر عليه ، وصرف السكة بذكره) والثانية : عند ابن حماد [٦] يدعي فيها أن الخير بن محمد بن خزر طلب من إسماعيل (الخليفة المنصور الفاطمي) (أن يبعث إليه بالخطبة والسكة ليضربها علي اسمه) لكن بدون تفاصيل عما تحمله هذه السكة من أسماء وعن مادتها ذهبية أم فضية ، ومما يؤكد من فرضية ضرب محمد بن خزر عملة ذهبية في دولته أن هناك دول بربرية صغيرة مثل سجلماسة سكت عملة ذهبية [٧] ، وإمارات مطمورة تاريخيا لم تتناولها المصادر التاريخية ولم يستدل عليها إلا من خلال عملتها الذهبية التي عثر عليها ضمن بعض الكشوف الأثرية [٨] . فضلا عن

---

1 - Michael Berrt, ifriqiya as A market for Sharan trade, p.351

2- ضربت بطون من بني خزر حول بسكرة وقرب طبنة ، أنظر ، البكري ، المغرب ،ص٥٢

3 - Bertt, ifriqiya, p.358 ، عمل في تجارة بلاد السودان أصحاب المذاهب المختلفة ، واشتهر الإباضية خاصة بتجارة الرقيق الأسود علي طول طرق التجارة إلي بلاد السودان وخاصة الوسطي والغربية،أنظر **E . Savage**، **Africa ,Journal of African Berber and Blacks: Ibadi slave traffic in Eight-century north history,33(1992)pp.351-368**، **كما عمل اليهود كذلك في نفس التجارة وحازوا شهرة واسعة فيها ، راجع عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ٢٠٠١م ، ص٩٩-١١٠**

4 - **oliva constable, trade and traders,p.201**

5 - **المقتبس ،٥ ص ٣٠٤**

6 - **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٧٠**

7 - **ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص١٣٢**

8 - **سنوسي يوسف ، دور زناتة في المغرب الإسلامي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب عين شمس ١٩٨٥م ص١٧**

سك كثير من زعماء حركات المعارضة السياسية والدينية العملة باسمهم في ظل وجود سكة للسلطة المركزية ومن أشهرهم منصور الطنبذي في العهد الأغلبي وأبي يزيد مخلد بن كيداد في العهد الفاطمي ، وأحد دعاة كتامة في العصر الصنهاجي خلال عام ٣٧٦هـ [١]

اعتمد ابن خزر في المقام الثاني بعد التجارة علي الزراعة والرعي وهما من الموارد الاقتصادية الأساسية للدول في العصور الوسطي، فمنطقة الزاب التي سيطر عليها محمد بن خزر ونازعه عليها الفاطميون من مناطق الإنتاج الزراعي ، ويقال أن زرعها يحصد في السنة مرتين٢ ، فضلا عن المناطق الشمالية من الدولة التي استوعبت زراعة مستقرة لمحاصيل مختلفة ، حيث يجري فيها عدد من الأنهار الصغيرة والكبيرة نذكر منها علي سبيل المثال نهر الشلف الذي يزرع واديه العصفر والكتان والسمسم٣ ، وبالقرب من مصبه في البحر المتوسط عند مدينة مستغانم يزرع (القطن فيجود) [٤] ، ونهر سطفسيف الذي يمر بمنطقة تلمسان (دار مملكة زناتة) وتقوم عليه وعلي فروعه زراعة مستقرة [٥] ، كما قامت العديد من الزراعات في الأودية الأخرى التي تضرب فيها بطون مغراوة علي مياه الأمطار والآبار ،ناهيك عن الواحات المنتشرة داخل الدولة مثل واحة ورجلان وما فيها من زراعات وفواكه مختلفة .

تضاف مهنة الرعي والإنتاج الحيواني إلي قائمة الموارد الاقتصادية لدولة ابن خزر لما لبلاد المغرب بشكل عام من شهرة قديمة في هذا المجال ، وما عرف عن البربر من ظعن وانتجاع ؛ فقد كانت منطقة تلمسان من أهم مناطق إنتاج الأغنام والأبقار والخيول في غرب بلاد المغرب ، ومن تلمسان تصدر هذه المنتجات الحيوانية إلي سواحل الأندلس الشرقية [٦] . مما يعني فائضا من الإنتاج الحيواني يغطي الاستهلاك المحلي ويدعم التجارة الخارجية ، ويجمل صاحب كتاب الاستبصار ثروة المغرب الأوسط في قوله (بلاد المغرب الأوسط كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم والماشية ، طيبة المراعي ومنها تجلب الأغنام إلي المغرب والأندلس لرخصها وطيب لحومها) [٧] ، كما أن الإبل من الحيوانات التي اعتني البربر بتربيتها في كل بلاد المغرب لما لها من دور كبير في حركة التجارة والاتصال الحضاري بين الشمال والجنوب [٨] يضاف إلي ذلك الخيول التي مثلت عصب القوة العسكرية في بلاد المغرب ، حيث بزت تلمسان عن غيرها

---

[1] ـ الحبيب الجنحاني ، المغرب الإسلامي ، تونس ١٩٧٧م ، ص٧٦

2 – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، ٢ ص٤٤

3 – اليعقوبي ، البلدان ، ليدن ١٨٩٢م ، ص ٣٥٨

[4] ـ البكري ، المغرب ، ص٦٩

[5] ـ يصب نهر سطفسيف في بركة عظيمة منقورة في حجر صلد من عمل الأولين ، ثم يخرج من تلك البركة بحكمة مدبرة إلي موضع يسمي المهماز ، ثم يصب في نهر أسر ، ثم يصب في نهر ثافي ، وهو النهر الذي يتصل بمدينة أرشقول في البلاد الساحلية ، أنظر ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص١٧٦

[6] ـ عز الدين موسي ، النشاط الاقتصادي في المغرب ، دار الشروق ، ١٩٨٣م، ص١٩٩

[7] ـ مجهول ، ص ١٧٩

[8] ـ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٩٥

من بلاد المغرب بنوع من (الخيل الراشدية) التي لها فضل علي سائر الخيل [1] كل ذلك هيأ للدولة مـوردا اقتصاديا آخر يضاف إلي التجارة ليدعم قوتها ويقيم صلبها بما تدره الزراعة وتربية الحيوانات بشكل مستمر ومستقر ، وبالتالي فأن الثروة الاقتصادية بشتى أنواعها تعتبر عامل أساسي في السلوك السياسـي للدولـة ، فكثيرا من السلوك السياسي للدول ينبع من خلفيتها الاقتصادية ؛ فلكي تلعب الموارد دورها المأثور لابد مـن استغلالها وتنميتها والمحافظة عليها والدفاع عنها ٢، وهو ما قام به ابن خزر عندما أمن مصادر الدخل في دولته وخاض الحروب لأجل الدفاع عن انسياب التجارة داخل حدود بلاده

بحث محمد بن خزر عن سلطة روحية يستطيع أن يستمد منها شرعيته ، "ويعتلق حبلهـا ، ويكـون علي بينة من أمره في الدعاء إليها "٣. في بداية الأمر كانت هناك جهتان تستطيعان منح جواز المرور إلـي شرعية إعلان الدولة ، الأولي هي الخلافة العباسية في بغداد ، والأخرى هي الخلافة الفاطمية في إفريقيـة ، قبل أن ينضم إليهم سلطة ثالثة وهي الخلافة الأموية التي أعلنت في قرطبة سنة ٣١٦ هـ/٩٢٩م ٤ . تلفـت ابن خزر شطر الخلافة العباسية عله يجد فيها بغيته وهو البحث عن شرعية توافق مزاجه السياسي وتناسب نزعته الاستقلالية ، فوجد الخلافة العباسية تأن تحت وطأة الأتراك وتسلطهم ، خاصة فـي عهـد المقتـدر العباسي (٢٩٥ – ٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) الذي توافق وجوده في السلطة مع الوقت الذي بدأ فيـه ازديـاد طموح محمد بن خزر في إعلان الدولة بصفة رسمية ؛فقد كان المقتدر لا يحمل من أسمه شيئا ، فكثرت في عهده الدسائس والفتن ، وتسلط الأتراك علي الخلافة ، وضاعت إفريقية لحساب الفاطميين ، وأوشكت مصر أن تضيع٥ ، لكن ما بقي من سلطان الخلافة يكفي منحه الشرعية ، "فتشبث في حبال المسـودة مـن بنـي العباس " ، وأرسل إليه لتكين التركي والي مصر من قبل المقتدر العباسي يطلب منه الانضمام إليهم ورفـع رايتهم ٦،

نظر ابن خزر وفكر وتدبر ، هل تصلح الشرعية من خليفة متهالك لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعـا ؟ وهل يمكن أن تأتيه الإمدادات منه في ساعة الوغى سريعا تترا ؟ ففي ضوء ما أشرنا إليه سابقا أصبح مـن الصعوبة بمكان القبول بتلك الشرعية ، ولابد من الانصراف إلي الخلافة الثانية عله يجد فيها ما يبحث عنـه وهو وضع الدولة في إطار من الشرعية دون المساس باستقلاله ، فهل يجدها عند الفاطميين حكـام إفريقيـة الجدد علي الرغم من منازعتهم السلطان ؟ يتبادر للذهن من أول وهلة أن إعراض محمد بن خزر عن قبول الشرعية من الفاطميين يرجع إلي الخلاف المذهبي بين السنة مذهب ابن خزر ، وبين الشيعة مذهب الفاطميين

[1]- ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص٤٤

2 – محمد الديب ، الجغرافية السياسية ، ص ٢٥١

3 – ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص ٢٦٦

4 – ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٢٤١

5 –حسن محمود ، أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط ٥ بدون تاريخ ، ص ٣٣٢ ، ٣٦٢

6 – ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص ٢٦٦

، لكن في ضوء ما تقدم لم يرتبط الولاء السياسي بالمذهب الديني ، بدليل أن أوربة الاعتزالية احتضنت الأدارسة الزيديين وارتبطت بولاء سياسي معهم[1] ، وبني يفرن الخوارج تغير ولائهم السياسي طبقا لمصالحهم بين الفاطميين الشيعة وبين الأمويين السنة[2] ، أما بالنسبة لمغراوة فلم يكن في حسابات محمد بن خزر السياسية مسألة توافق المذهب، لكن السبب الرئيسي يكمن في أن البربر شعوب بدوية تعشق الحرية وترفض الضيم والهضيمة ، والدولة الفاطمية سوف تقضي علي النزعة الاستقلالية لدي محمد بن خزر ولن تسمح بالتبعية الاسمية له في حالة منحه الشرعية ؛ فالجباية تسلب عصب الدولة وتجعله تابع فعلي ، وسوف تذوب حدوده الشرقية مع أملاك الخلافة الفاطمية في المغرب الأوسط وبالتالي فقدان كيان الدولة ، ناهيك عن فقدان مسالك وطرق التجارة هاجس الفاطميين وبغيتهم ، والمورد الاقتصادي المهم الذي اعتمدت عليه مغراوة في بناء الدولة ، وعلي الرغم من ذلك خطب الفاطميون ود محمد بن خزر بالترهيب تارة عن طريق استعراض القوة بالحملات الموجهة ، وبالترغيب تارة أخري ووعده بالكثير من المغريات التي تضمن له استقلاله وإعفائه من الضرائب بشرط إرسال أحد أبنائه أو بعض أخوته رهائن لديهم ، وهو ما رفضه ابن خزر[3] .

خرج محمد بن خزر من حيرته السياسية عندما أعلن الناصر الخلافة ، فبالرغم من التقارب الأموي المغراوي قبل ذلك ؛ فإنه لم يكن في وسع الناصر أن يمنح الشرعية ، أما بعد إعلانها كان من السهل منح الشرعية السياسية لابن خزر الأمر الذي يسهم في استكمال الشكل السياسي والقانوني للدولة ويزيد من قوة ابن خزر أمام جيرانه الفاطميين الذين يهددون استقلاله ، فبايع ابن خزر الناصر حيث يقول في خطابه له (فحشدنا جميع القبائل التي بإزائنا وكل من اعتصم بطاعتنا وتمسك بأسبابنا ، فأخذنا رهائنهم بالمبايعة لك والافتتاح باسمك والخطبة) [4] ، واستغل ابن خزر هذا التقارب الأموي ليضفي نوعا من المشروعية الدينية علي حربه ضد الفاطمين ؛ إذ أنه لم يفصح عن اسم أيا من الخلفاء الفاطميين خلال رسائله للناصر فيما ينعتهم دائما بكلمة اليهودي [5] وبالتالي تكون مشروعية محمد بن خزر مشروعية انتقائية قابلة للتكيف وفقا لأطروحته السياسية التي صقلتها التجارب .

يسهم الصراع الفاطمي المغراوي في تبيان الإرهاصات الأولي للحلف الأموي المغراوي من خلال تلقي مصالة بن حبوس عامل الخليفة الفاطمي علي تاهرت الأمر بالقيام بحملة عسكرية علي مغراوة سنة ٣١٢ هـ/٩٢٤م ، وكان السبب الرئيسي لهذه الحملة هو تأديب محمد بن خزر زعيم مغراوة الذي استجاب

1 – راجع البكري ،المغرب ، ص١١٨ ، ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص١٩
2 – ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٨
3 – ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٤
4 - أبن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٢
5 - راجع علي سبيل المثال رسالة محمد بن خزر للناصر ، ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٣،٣٠٤

للعروض الأموية ، لكن الغلبة كانت لمغراوة ، ولقي مصالة بن حبوس مصرعه في هذه المعركة [1] وقد اعتبر الناصر هذا انتصارا لسياسته التوسعية في بلاد المغرب٢ مما يعني أن التحالف بين ابن خزر والناصر كان قبل ٣١٥هـ / ٩٢٧م وإن لم ترصده كتابات المؤرخين بسبب عدم وجود تصادم بين الفاطميين وابن خزر ؛ إذ أن إغفال مغراوة من جانب الفاطميين ربما كان بسبب قوتها فضلا عن إنشغالهم ببطون زناتة الأخرى الضاربة في المغرب الأوسط التي نالت منها سيوف الفاطميين علي مدي عامي ٢٩٨/٢٩٩هـ ٩١٠/٩١١م [3]، وكانت الدولة الفاطمية تتحين الفرص للقضاء علي مغراوة بعد أن توطد أركان حكمها ؛ ففي عنقها ثأر قديم للشيعة بعدما قتل رجال محمد بن خزر فرسان كتامة الموالية للفاطميين عندما انتهكوا حرمة الأراضي المغراوية في طريق عودتهم من سجلماسة التي كان يتخفى فيها الأمام الشيعي عبيد الله [4] ، كما أن محمد بن خزر ظل دائم التحرش بالفاطميين من خلال مناصرته لأبناء جلدته من زناتة في صراعهم الدامي بالمغرب الأوسط مع جيوش الشيعة ؛ فقتل ألفا من فرسانهم المدافعين عن تاهرت واستولي علي المدينة الاستراتيجية وظل أميرا عليها عدة شهور[5] ، لكن لم يكن أمام الفاطميين خيارا بخصوص التحالف الأموي المغراوي فبدأ الصراع منذ ذلك التاريخ يأخذ مأخذ الجد ؛ فبعد هزيمة مصالة زادت استفزازات ابن خزر للفاطميين عندما استولي محمد بن خزر علي منطقة الزاب الحدودية التي تقع بين أملاكه في المغرب الأوسط وبين إفريقية سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م بناء علي استدعاء من قبائل لماية وما جاورها من القبائل التي تضرب في المنطقة والتي تمردت علي الفاطميين٦ فكان الرد من جانب الشيعة سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م من خلال حملة قادها القائم بن المهدي الفاطمي ناحية الغرب حيث اتجه صوب قلعة تسمي حمة في منطقة تاهرت يتحصن فيها عبد الله بن خزر شقيق الأمير محمد بن خزر ومعه فرقة من قوات مغراوة وعندما وصلت إلي مسامع القوات الزناتية أخبار قدوم القائم انسحبوا إلي خارج القلعة ولم يتمكن القائم من لقائهم [7] في نفس الحملة واصل القائم تقدمه ناحية الغرب ووصل الشلف وطاف في أرجاء المنطقة لاقتفاء أثر مغراوة فانسحب محمد بن خزر في اتجاه التخوم الصحراوية المحاذية لمنطقة تاهرت فتوغل القائم في الصحراء بحثا عنه دون جدوى ونفذ زاده ، فاضطر إلي العودة في اتجاه الزاب ، وقضي شهر شعبان في

1- أبن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص١٨٩ فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٤ ص ٢٢٢

2 – السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ،٢ ص٩١٩

3 – عن المعارك التي دارت بين الفاطميين وبطون زناتة في المغرب الأوسط خلال العامين أنظر ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص١٦٢ ، ١٦٥ ؛ سنوسي يوسف ، زناتة والخلافة الفاطمية ، ص١٧٠ ، ١٧١

4- ابن حماد ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ، ص٤٥

5 – ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص١٦٥

6 - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١ص١٩١

7– ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ، ٧ ص٣٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، نفسه ص٢٢٤

طبنة ثم قفل راجعا إلي المهدية ١ اضطر المهدي قبل وفاته إلي قبول تمركز الخليفة الأموي في المغرب الأقصى، وبقاء محمد بن خزر في المغرب الأوسط، يجوب أطراف البلاد بلا رادع[٢] .

سجل الناصر أول تدخل له في شئون المغرب باحتفاله ببني صالح أصحاب نكور بعد هروبهم إلى الأندلس أمام مصالة بن حبوس قائد الخليفة الفاطمي المهدي ، حيث ساعدهم علي العودة مرة أخري إلي بلادهم ، ومنذ ذلك الحين أخذ الناصر يتتبع أخبار المغرب أي منذ سنة ٣٠٥هـ/٩١٨م ٣ ، حيث بدأ في استمالة البربر أصحاب القوة الحقيقية في بلاد المغرب ، مما مهد له السبيل في الاستيلاء علي مليلة سنة ٣١٤ هـ/٩١٧م ٤ مستغلا انتصار محمد بن خزر علي مصالة بن حبوس في نفس العام ٥، ومليلة تقع إلي الشرق من نكور الموالية للناصر وهي موقع عسكري منيع ولا تبعد عن حدود المغرب الأوسط كثيرا وبالتالي تؤمن تغطية عسكرية لمنطقة غرب وهران ٦ ، كان تدبير الناصر من الناحية الاستراتيجية علي قدر كبير من الصحة عندما جاز إلي ميناء يقع بين اثنين من أنصاره بحيث يكون من السهولة بمكان مساعدته إذا لزم الأمر ،فضلا عن نيته في تحويل مليلة إلي نقطة أمامية لصد أي هجوم فاطمي ، يستهدف المغرب الأقصى العمق الإستراتيجي للأندلس٧ ، ناهيك عما يتبع ذلك من قطع أي إمدادات عن بني عصام حكام سبته حلفاء الفاطميين٨ . أعطى ولاء محمد بن خزر للأمويين الجرأة العسكرية للناصر في متابعة التدخل في المغرب الأقصى ، وصنع هذا الولاء من غرب المغرب الأوسط منطقة حاجزة أمام الفاطميين في محاولة لصدهم عنه، أو علي الأقل أضعاف قوتهم حتى إذا نفذوا إلي المغرب الأقصى كانوا قد فقدوا جزأ كبيرا من قوتهم وحيويتهم أمام محمد بن خزر ، وبالتالي يمكن الإجهاز عليهم بسهولة وبأقل الخسائر . هذه السياسة أدت إلي تضييق منافذ التدخل الفاطمي إلي المغرب الأقصى وإلي إطلاق يد الناصر فيه ، حيث استكمل

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ،ص١٩٣ ، فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية في المغرب ، ص٢٢٥

2- فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية في المغرب ، ص٢٢٧

3- راجع ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص١٧٨-١٨٠ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٦م ٢ص٦١٥

4 - - فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ،ص ٢٢٢

5 - السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ،٢ص٦١٩

6-محمد الديب ، الجغرافيا السياسية ، ص١٧١

7 - يعتبر المغرب الأقصى هو العمق الإستراتيجي للأندلس والعكس صحيح ، يتضح ذلك جليا منذ الفنيقيون ثم القرطاجيون ، فالرومان والوندال ثم القوط الغربيون ، حيث وضح جليا أيام موسى بن نصير وطارق بن زياد ، فقد فاض المغرب الأقصى بقوته علي الأندلس ، وعندما وحد الناصر الأموي الأندلس تحت قيادته نفذ إلي المغرب الأقصى ، وتظل مسيرة التاريخ في الغرب الإسلامي تؤكد هذه الفرضية أيام المرابطين ثم الموحدين ، كما أن التاريخ الحديث يؤكد علي ذلك من خلال احتلال أسبانيا لعدوتي المغرب سبته ومليله .

8 - محمد عبد الله عنان ،دولة الإسلام في الأندلس ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، العصر الأول القسم الثاني ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٩م ص ٤٢٥ - ٤٢٦

سياسته التوسعية في هدوء ، مما مكنه من الاستيلاء علي سبته سنة ٣١٩ هـ/٩٢٢م ١ ، ثم علي طنجة من حكامها الأدارسة ؛ فاكتملت السيطرة علي رأس العدوة٢ .

توثقت العلاقات بين الناصر وبين محمد بن خزر وطفق الأخير يدعو للدولة الأموية بما له من سلطان علي قبائل زناته الضاربة في غربي المغرب الأوسط وبدأ في استعادة نشاطه القديم في مناهضة الفاطميين واتجهت نيته إلي تاهرت مرة أخري محور منافذ التجارة لكي تكتمل في يديه منظومة التجارة بين الشرق والغرب وبين الجنوب والشمال ، تمثل تاهرت مع وهران محور تجاري هام يحجب عن تلمسان كثيرا من ريع التجارة ، وبالتالي كانت أولويات هذه المرحلة هو التفكير في ضم تاهرت للنفوذ المغراوي ، ولما لا ومحمد بن خزر في عنفوان مجده وخاصة بعد منحه الشرعية من الدولة الأموية .

طلب ابن خزر يد العون من الناصر الأموي وخاصة أنه مقبل علي فن قتال جديد وهو حصار المدن ، وهو فن من فنون القتال لم يألفه البربر ؛ إذ كان دخوله إلي تاهرت سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م بطلب من أهلها ٣ ،وبالتالي لم يلق مقاومة ، لكنه يعرف أنها إذا استعصت عليه لا قبل له بها إلا بأساليب حربية جديدة وأسلحة متقدمة ، فقد حاول أخيه عبد الله بن خزر حصارها عندما اغار علي المسيلة سنة ٣١٥هـ/٩١٨م لكنه لم يفلح٤ ، هذه التقنية حازتها الدولة الأموية في الأندلس بفضل سياسة الناصر الحربية التي أدت إلي تحديث قواته وأساليبه العسكرية لتوحيد الأندلس ورد كيد النصارى الأسبان ، كما كانت أيضا بيد الفاطميين مما ساعدهم علي محاصرة سجلماسة [5] وتاهرت ، والأخيرة من المدن العصية حيث يؤكد محمد بن خزر علي صعوبة حصارها ودخولها للناصر بقوله (وهي كما بلغك من وعورتها وصعوبتها وشموخ أجبلها وأشب شعاريها) [6] وهو يعلم أيضا من خلال صراع الإباضية مع الدولة العباسية أن تلك المنطقة التي تأسست فيها تاهرت بعد ذلك استعصت علي جيوش العباسيين النظامية بقيادة ابن الأشعث عندما كانت تقتفي أثر عبد الرحمن بن رستم حيث أضني ابن الأشعث حصارها فكر راجعا إلي الشرق [7] .

---

1 – ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص٢٠٠-٢٠١ ؛ كان دخول إسحاق بن أمية قائد الخليفة الناصر إلي مدينة سبته وتسلمه لها يوم الجمعة صدر ربيع الأول سنة ٣١٩ هـ ، أنظر ابن حيان ، المقتبس ،٥ ص٢٨٩

2 – محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٤٢٦

3 – ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١ ص١٦٥

4 – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ ص٣٦

5 - ابن حماد ، أخبار بني عبيد وسيرتهم ص٤٠

6 - ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٣

7 - إدريس صالح الحرير ، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء وأثرها في نشر الإسلام هناك ، ، ص٧٥-٧٨

تلخص طلب أبن خزر في " أصناف الأسلحة والنشاب والآلة والرماة ، وبعض من يحكم سياسة محاصرة الحصون "[1] أي فضلا عن الأسلحة خبراء في فن حصار المدن لتدريب قواته علي ذلك ؛ وبذكاء سياسي لوح محمد بن خزر بعرض الفاطميين له بالدخول في طاعتهم مقابل الإمارة المطلقة وبعض المزايا الأخرى حتى تكون ورقة ضغط علي الناصر لتنفيذ مطالبه [2] وتشهد الوقائع التاريخية علي عدم دخول فن حصار المدن واقتحامها والأسلحة اللازمة لذلك ضمن منظومة الحرب البربرية ، يدلل علي ذلك استيلاء الثائر الزناتي أبي يزيد مخلد بن كيداد علي إفريقية بأكملها من أيدي الفاطميين عدا مدينة المهدية التي حاصرها وبداخلها الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله لمدة خمسة عشر شهرا واخفق في اقتحامها [3] لعدم توافر الأدوات الحربية لاقتحام المدن لديه ، كان الناصر يعلم جيدا بمدي بأس جيش أبن خزر فهو بحالته الراهنة تمكن من وقف خطر الفاطميين ، فما بالك لو مده بالتقنيات الحديثة من الأسلحة المتقدمة ، وهو الذي يريد أن يحفظ توازن القوة علي الضفة الأخرى بين حليفيه محمد بن خزر وموسي بن أبي العافية حيث ساند الأخير بجيش نظامي وأسطول لعلمه أن موسي ليس لديه من القوة التي تمكنه من الاستقلال بالمغرب الأقصى [4] .

طال انتظار ابن خزر لهذه الإمدادات فلم تصله إلا الأمنيات الطيبة والوعود وبعض الهدايا ؛ فعول علي دهائه السياسي لدخول المدينة دون قتال فجاءته الفرصة من حيث لا يحتسب عندما انتفض حميد بن يصل والي تاهرت من قبل الفاطميين سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م وانحاز إليه ثم جاز إلي الأندلس٥ ، وفي نفس الوقت ركن إلي مناصرة أبي يزيد الخارجي في ثورته ضد الفاطميين٦ ؛ فخرج من هذه السياسة بمبتغاه ، حيث دخل تاهرت هو وقومه من مغراوة بدون قتال بصحبة القائد المنشق حميد بن يصل سنة ٣٣٣ هـ/٩٤٥م بعد مناورة سياسية انطلت علي والي المدينة ميسور الفتي فوقع أسيرا في أيدي بني خزر ، ثم اضطربت الأمور فيها وتغلب عليها يعلي بن محمد اليفرني زعيم بني يفرن٧، وظلت تاهرت زناتية حتى أستخلصها جوهر الصقلي٣٤٩هـ/٩٦٠م [8]

العلاقة السياسية بين الناصر ومحمد بن خزر هي علاقة بين أثنين من فحول السياسة تميزا بالدهاء السياسي ؛ فبما أن السياسة هي فن الممكن ، فقد فرضت هذه النظرية نفسها علي تعاملاتهم السياسية . اتخذ الناصر

---

1 – ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٣

2 ـ ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٤

3 ـ ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص٥٦

4 ـ أبن حيان ، المقتبس ، ٥ ص ٣٢٦

5 – ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦

6 – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ ص ١٩٧ ، ١٩٩ ؛ وعن ثورة أبي يزيد انظر ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص٢١٦ – ٢١٨

7 – ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص ١٩٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص٢٦

8 – ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ ص١٩٨

سياسة الردع تجاه بلاد المغرب ، وخاصة مع الخلافة الفاطمية عندما سيطر علي مليلة وسبته ثم طنجة حماية من أي تسلل أو عدوان علي الأندلس ورغبة في الهيمنةعلي طرق التجارةمع السودان عبر بلاد المغرب ، ثم اصطنع زعماء البربر لتعطيل المد الشيعي ، واكتفي بذلك حتى لا يشتت جهوده التي ادخرها لتوحيد الأندلس ومواجهة النصارى الأسبان ، والدليل علي استعمال هذه السياسة هو رده علي الحملة الفاطمية علي المرية[1] بأسلوب الردع العسكري أو الرد الخاطف ، وإمداده لموسى بن أبي العافية سنة ٣٢١ هـ/٩٣٤م بجيش كثيف بقيادة قاسم بن طملس لتحصين سبته في وجه حميد بن يصل قائد الفاطميين[2] .

معلوم أن فاعلية الدولة علي مسرح السياسة يتوقف علي مقدرتها العسكرية فكان تعامل الناصر مع ابن خزر يأتي وفقا لهذه النظرية حتى لا تزداد قوته ، ويصبح خطرا علي إخوانه من زعماء البربر ، ويفقد هو الأخر السيطرة عليه لذلك ظل محمد بن خزر ينتظر المساعدات العسكرية من الناصر لتطوير قواته وغزو الأراضي التابعة للفاطميين ؛ فجاءه رد الناصر بالبشري والتمنيات الطيبة والوعود فقط ، يظهر ذلك جليا في خطاب الناصر لمحمد بن خزر عندما يقول " وإن أمير المؤمنين (الناصر) ، لما تفرغ باله ، وتقضت بالأندلس أشغاله ، واكتملت له في أعدائه آماله ،.... ولا حال يستعمل رجاله فيها ، صرف عزيمته ، وأمال همته إلي ما بين يديه من أسباب المشرق، وطلب ما لم يزل لأوله حقا، .... وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد بالرجال والأجناد ، وتخير الكماة وانتقاء الرماة ، .... وتجريد الآلات ، وتكميل الأدوات .. . فأستعد ، أسعدك الله ، وتأهب وشمر وتلبب ، وكن علي انتظار ما يوافيك من أمير المؤمنين وولاته لتكون صدر القواد .....فأن أمير المؤمنين يرجو ، بالله وعونه وعليه توكله ، أن يكون قد قرب الوقت الذي قد رجوت الفوز به.. "[3] ظل ابن خزر ينتظر ذلك الوقت وتلك القوات ؛ فطال انتظاره ولم يأت العون .

ويفهم من هذا الخطاب ما أشرنا إليه سابقا من إتباع الناصر سياسة الردع ، وعدم الدخول في معارك غير محسوبة النتائج ، وحفظ عملية توازن القوي في بلاد العدوة ، فأبي يزيد كيداد عندما مسه الضر من الفاطميين وظن أنه لن يقدر بشيعته علي بأسهم أرسل أبنه أيوب إلي الناصر مغاضبا يستصرخه سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م فأحسن الناصر استقباله ووعده هو الأخر خيرا إلا أن وعوده لأبي يزيد كانت مثل وعوده لمحمد بن خزر [4] ، وهو ما أكده ابن حيان في معرض تعليقه علي خطاب الناصر لمحمد بن خزر بأنه " توهيم" لأبن خزر ، كما يري أبن حيان أيضا أن مكانة زعماء البربر لدي الناصر ومنهم بطبيعة الحال أو

---

1 - القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠م، ص ٢٨١ ، اتخذ المعز الفاطمي هجوم مركب أموي علي قارب فيه كتاب من عامل صقلية إليه ذريعة للهجوم علي المرية سنة ٣٤٤هـ (فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية في المغرب ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٨) ، وكان رد الناصر علي عامين متتالين علي مواني الفاطميين في سوسة ومرسي الخزر وطبرقة (ابن خلدون ، العبر ، ٢)

2 - ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص ٣٢٦

3 - ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص ٣٠٦ ، ٣٠٧

4 - أبن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ ص٢٣٠

علي رأسهم محمد بن خزر من المؤلفة قلوبهم ١ ، أي أنهم ليسوا ندا له وتجمعهم بالناصر هذه العلاقة النفعية ، لكن وعلي ما يبدو كانت ردود الناصر تلقي هوي في نفس محمد بن خزر فقد وعده بقيادة جيوش الخلافة الأموية (صدر القواد ومتقدما للرجال) [٢] للقضاء علي الفاطميين مما يعطيه فرصة الإنفراد بملك المغـرب في حالة انتصار الناصر علي الفاطميين وعودته إلي المشرق ؛ فالناصر يعرف ما يدور في خلد أبن خـزر حيث أختار عبارات توافق مزاجه السياسي .

اعترت القبائل البربرية آفة التنافس والتحاسد ، فبأسهم بينهم شديد بسـبب الأنفـة ، وهمـا ظاهرتـان اجتماعيتان ابرز مثال عليهما ما جاء في القرآن الكريم من خلال علاقة يوسف بن يعقوب عليه السلام مـع إخوته ، جاء التنافس والتحاسد لأبن خزر من زعماء القبائل البربرية ، وامتدا إلي أن وصلا البيت الخزري ، حيث تقدم العمر بمحمد بن خزر وتغيرت الأحوال في المنطقة ، وتبدلت الولاءات السياسية عن يمينه وعن يساره ؛ فلقد جنح موسى بن أبي العافية إلي الناصر بعد أن كان حليفا للفاطميين ، ولحق به يعلي بن محمـد اليفرني وانضم إلي معسكر قرطبة ، وتوزع اهتمام الناصر بين الثلاثة ، لكنه كان يساند موسـي بـن أبـي العافية مساندة مادية لكونه حارسا علي منطقة العدوة ؛ بدليل عندما تعرضت سبته للخطر الفـاطمي سـارع الناصر بإرسال جيشا كبيرا لوقف هذا الزحف٣ ، أما أبناء عمومته بني يفرن فقد قلبوا ظهر المجن للفاطميين ، ووقفوا في نفس خندق ابن خزر ، وأصبح للمغرب الأوسط زعيمان كلاهما تحت العباءة الأموية .

قاسم موسى بن أبي العافية ويعلي بن محمد اليفرني أبن خزر الحظوة لدي الناصر ، وظهر من خلال خطابات ابن أبي العافية للناصر ضجر محمد بن خزر من قسمة الغرماء ؛ حيث يقول له " وقد أسر الغـدر وأضمر (محمد بن خزر) ، علي غير سبب أوجب ذلك ، المنافسة والحسد علي ما نلته في ذاتك "٤ أما يعلي بن محمد اليفرني فمساواته بمحمد بن خزر فيه ظلم فادح ؛ لأن الأخير حمل علي عاتقه من أول يوم ظهـر فيه فرسان الشيعة لواء المقاومة٥ ، وكان يعلي في مأمن من سيوفهم بانحيازه إلي جانبهم ، حيث يصفه أبن خلدون بأنه قريع محمد بن خزر [٦] . وانتقل التنافس والتحاسد من الآباء إلي الأبناء فيما بين الخير بن محمد بن خزر ومدين بن موسي بن أبي العافية (من أجل الرئاسة والتنازع في الأعمال)[٧] فقد فسدت العلاقة بين الأميرين وأفضت إلي الحرب وسفك الدماء وتدخل الناصر وأرسل من قبله رسولا للصلح فيما بينهما سـنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م [٨] . أما التنافس والتحاسد داخل البيت الخزري فكان من جانب فلفل بن خزر الذي انضم إلي

---

1 – المقتبس ، ٥ ص ٣٠٥
2 ـ أنظر قبله
3 – ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص ٣٢٦
4 – ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص ٣٠٩
5 – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٧ ص ٣٦
6 – العبر ، ٧ ص٢٦
7 ـ ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٤٦٠
8 ـ ابن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٤٦٠

الفاطميين ، في حركة انشقاق داخلي في صفوف محمد بن خزر في أوج مجده ، وفي خطابه إلي الخليفة الناصر بشأن ذلك يقول (والذي أردت علمه ، أعزك الله ، من خبر أخي فلفل ، هداه الله ، في حسده لنا وبغيه علينا وسوء سيرته ونقل ضميره وسريرته ... ، وذلك أنه رحل عنا من غير إذن منا ولا مطالعة ولا مشاورة لنا ....حتى وصل أطراف أعمال اليهودي (الفاطمي) ، المبدل للدين ،...نزع إليه ، هو وولده ، وشرذمة معه ممن تبعه وشايعه في أمره وصحبه ، فلما وردوا علي اليهودي تلقاهم بالسرور والحبور)[1] ، وأمثلة التحاسد بين الأخوة داخل زناتة كثيرة نذكر منها أيضا علي سبيل المثال ما حدث بين فلفل بن خزرون وأخيه سعيد ، حيث أعلن الأول طاعته للأمويين سنة ٣٦٦هـ ، فيما أنشق سعيد علي أخيه طمعا في الزعامة وحسدا لأخيه ، وأنضم إلي بني زيري الصنهاجيين[2] .

قضية موالاة محمد بن خزر للفاطميين في أواخر أيامه يكتنفها الغموض ؛ فالمصادر الشيعية تؤكد علي ذلك حيث ينسف القاضي النعمان القضية برمتها من البداية عندما يقرر استسلام محمد بن خزر في مهد الدولة الفاطمية إلي أبو عبد الله الشيعي داعي الفاطميين عند خروجه إلي سجلماسة لفك أسر سيده عبيد الله المهدي ، حيث يقول : (فأتاه محمد بن خزر (أتي عبد الله الشيعي) وهو يومئذ أمير زناتة كلها وقبائل البربر بأسرها ، فوفاه بطبنة يسأله الأمان متطارحا عليه وملقا نحوه بيديه ، فأمنه وقومه وأخذ عليه العهد وأستحلفه أن لا يفتك ولا يغدر ولا يعتدي علي أحد من الأولياء في حياته ولا بعد وفاته وأطلق سبيله)[3] ثم يعود القاضي النعمان ويناقض نفسه بعد عدد من الصفحات فيقول في معرض حديثه عن استسلام محمد بن خزر للمعز الفاطمي : (وأتاه محمد بن خزر أمير البربر (أتي المعز الفاطمي) مستسلما إليه ملقيا بيده طلب الصفح والعفو فمنحه ذلك تفضلا وأقام ببابه ... ونقل إليه عياله وأهل بيته ، وهو قديما وآباؤه رؤساء البربر وأمراؤهم إلي أن ألقي بيده وخرج إلي المعز مما كان فيه)[4] بالنسبة للنص الأول : لم يرد في أيا من المصادر ما يؤيد استسلام محمد بن خزر لأبي عبد الله الشيعي ولو صدق هذا الكلام لما قامت قائمة لمحمد بن خزر ، والنص في مجمله يحتوي علي نوع من المغالطة التاريخية لأنه يصادر من البداية مناوئة وتصدي محمد بن خزر ضد الفاطميين ، فضلا عن المبالغة اللفظية في العهد الذي قطعه محمد بن خزر بعدم الاعتداء علي الخلفاء الفاطميين طوال حياته وبعد مماته ، ثم يعود القاضي النعمان ويقرر استسلامه مره أخري للمعز ، ويوافقه في ذلك أبن خلدون مضيفا مرافقته للقائد الفاطمي جوهر الصقلي في غزوه لبلاد المغرب سنتي ٣٤٨،٣٤٧هـ[5] . كما أن ابن الأثير يقرر موالاة محمد بن خزر للمنصور الفاطمي ويبرهن علي ذلك

---

1 - أنظر نص الخطاب كاملا ؛ أبن حيان ، المقتبس ، ٥ ص٣٠٣-٣٠٤

2 - أنظر أبن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٣٩

3 - رسالة افتتاح الدعوة ، ص٢٣٦

4 - رسالة افتتاح الدعوة ، ص ٢٨٠ .

5 - العبر ، ٧ ص ٢٦ ؛ ويزيد ابن حماد علي هذه الرواية أن علاقات الود سادت بين الفاطميين ومحمد بن خزر علي عهد والد المعز إسماعيل، وأن محمد بن خزر (وجه أبنه يعقوب إلي إسماعيل بالمسيلة فاكرمه وحمله علي فرس من مراكبه بسرج من سروجه ولجام من لجمه ووصله بعشرة آلاف دينار) كما يشير أيضا أن الخير بن محمد بن خزر خطب ود إسماعيل في المسيلة وسأله أن يبعث إليه بالخطبة والسكة ليضربها علي اسمه ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ٦٨،٧٠

بوصول كتاب للمنصور من ابن خزر يكشف فيه عن الموضع الذي لجأ إليه أبي يزيد [1] ، ثم يعود ويخبرنا أن محمد بن خزر خرج علي المنصور (فظفر به المنصور سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وكان يريد نصرة أبي يزيد) [2] ، فهل يستقيم النصين فكيف انقلب محمد بن خزر علي أحد ثوار زناتة ؟ ، ثم يموت في نصرته ؟ والذي يشكك في كل هذه النصوص عودة ابن الأثير مرة أخري ليعلن لجوء ابن خزر وأخيه معبد وطلب الأمان من المعز الفاطمي سنة ٣٤٢هـ [3] .

مناقشة هذه القضية وإعمال العقل فيها يطرح سؤالين : الأول : لماذا إذن الحروب المتوالية التي خاضها مع الفاطميين ؟ فلو كانت النية مبيتة عند أبن خزر لدخل في طاعة الفاطميين من البداية دون خسائر ، الثاني : كيف يعين الفاطميين علي غزو قبيلته ؟ وهذا أمر يتنافى مع التقاليد البربرية فمهما كان الشقاق والنزاع بين بطون القبائل البربرية لا يمكن أن يعين أحد زعمائهم عدوا علي غزو عشيرته بثمن بخس ، والأمثلة التي توضح ذلك كثيرة في تاريخ القبائل البربرية ، وكيف يطلب محمد بن خزر (وهو من اعيان أصحاب أبي يزيد الخارجي) الأمان من المنصور الفاطمي في حين يلجأ أبو يزيد إلي مضارب أنصاره من بني خزر[4] فضلا عن أنه في هذه الفترة كان محمد بن خزر قد بلغ من الكبر عتيا ، حيث شارف علي المائة من عمره ، فكيف يستطيع أن يشارك مع جوهر في رحلته من إفريقية حتى المغرب الأقصى ؟ ، كما أن النصوص تشترك معا في أن محمد لجأ إلي الفاطميين بأهله فقط دون جيشه وفرسانه وأنصاره ، وهو أمر غير وارد في مسألة الموالاة فماذا يفعل الفاطميون بزعيم كهل دون جيش وأنصار يؤثر فيهم ويكونوا عونا لهم في السيطرة علي بقية بلاد المغرب ؛ تؤكد علي ذلك رواية أبن حيان عن انشقاق فلفل بن خزر وانضمامه للفاطميين حيث تقول: (.نزع إليه (إلي أبو القاسم الفاطمي) ، هو وولده ، وشرذمة معه ممن تبعه وشايعه في أمره وصحبه) مع ملاحظة أن هذا النص عبارة عن بلاغ للناصر من محمد بن خزر ، حيث يقلل من شأن أخيه المنشق وجيشه ، أما الدليل الذي يؤكد عدم استسلام محمد بن خزر للفاطميين ؛ هو استمرار دولة بني خزر بعد وفاة محمد بقيادة ولده الخير ودوام العلاقة مع الناصر الأموي [٥] ، مما يدحض مقولة القاضي النعمان باستسلام محمد بن خزر للمعز الفاطمي ونقل (عياله وأهل بيته) إليه [٦] ،يضاف إلي هذا الدليل ما أورده ابن الأثير [7] عن وفاة ابن خزر علي أيدي المنصور الفاطمي قبل ذلك التاريخ بعشرة سنوات ، وعندما مالت شمس دولة أبن خزر للمغيب ودخل محمد بن الخير بن خزر في حروب مع بني زيري الصنهاجيين الموالين للفاطميين ، دارت الدائرة عليه عندما " بايته يوسف بن زيري بن مناد " وأدرك أن لا ملجأ منهم قتل نفسه حتى لا يقع في الأسر ، وبالتالي يورث قبيلته العار [٨] فهل كان محمد بن الخير

1. الكامل في التاريخ ، ٧ص٢٠٠
2. نفسه ، ٧ ص٢٠١
3. نفسه ، ٧ ص٢٤٣
4. ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٦٨
5. أبن حيان ، المقتبس ، ٥ ص ٢٥٩
6. رسالة افتتاح الدعوة ، ص ٢٨٠
7. الكامل في التاريخ ، ٧ ص٢٠١
8. ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٠٣

حرا أكثر من جده وهل تملكنه الزعامة وحركته الأنفة من غير وراثة ؟ وهو الذي كان قدوة ومثل لأبناءه وأحفاده ، كما أن معبد بن خزر شقيق محمد وأحد قواده ظل يغير علي الفاطميين حتى أسر هو وأبنه سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م ثم أمر المنصور الفاطمي بقتلهما [1] ، والمؤكد أن المصادر خلطت بين محمد بن خزر وإخوانه .

انتهت حياة محمد بن خزر في ظروف غامضة فمتي وأين مات ؟ انقطعت أخبار محمد بن خزر منذ موت أبي يزيد والقضاء علي ثورته فهل ظل في غياهب النسيان من سنة ٣٣٦ حتى ٣٥٠هـ مع أن دولته في هذه الفترة كانت في عز عنفوانها ؟ قد تكون الإجابة هي ربما ألمت به شيخوخة متأخرة واعتزل الحياة السياسة في ظل وجود ولده الخير في السلطة فأهمله التاريخ ، وهي إجابة منطقية لو لم يكن لدينا دليل أخر علي وفاته قبل استسلامه للمعز . هناك إجماع من المؤرخين علي انضمامه إلي أبي يزيد وهي أخر الأخبار الموثوق في صحتها عنه ، بعد ذلك تضاربت أقوال المؤرخين بشأنه في حادثة وحيدة عنه وهي استسلامه للمعز وما بين الحادثتين لم ترد أي أخبار عنه حيث يتصدر ولده الخير واجهة الأحداث ، وإغفال المؤرخين له في هذه الفترة يجعلنا نميل إلي تصديق رواية ابن الأثير التي يقطع فيها بوفاة محمد بن خزر خلال معركته الأخيرة مع المنصور الفاطمي التي قضي فيها أيضا علي أبي يزيد حيث يقول: (ثم خرج عليه عدة خوارج منهم محمد بن خزر فظفر به المنصور سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وكان يريد نصرة أبي يزيد) [2] ، أما مكان وفاته فربما كان في سياق الرواية الأخيرة دليل علي استبعاد وفاته في مدينة القيروان حيث أن ساحة المعركة الأخيرة التي شهدت موت أبي يزيد تقع في منطقة بين المسيلة وبسكرة حيث مضارب بني خزر [3] فقد لجأ إليها أبي يزيد فرارا من المنصور الفاطمي [4] ، وربما كان محمد بن خزر من أنصاره المخلصين الذين لم يتخلوا عنه في ساعة العسرة خلاف ما ذهب إليه أحد الدارسين بأنه تخلي عن أبي يزيد بعد أن أيقن من هزيمته [5] فإذا كنا قد سلمنا بموته سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م فأننا نميل إلي افتراضنا السابق بأنه لم يلاق حتفه في القيروان بل مات في ساحة المعركة بين بني جلدته من بطون بني خزر في نفس المنطقة التي شهدت المعركة الأخيرة لأبي يزيد خاصة أن رواية ابن الأثير تأتي وفقا لتسلسل الأحداث منطقيا ، وتظل هذه القضية موضع اجتهاد حتى تظهر نصوص جديدة تؤكد بالدليل القاطع تاريخ ومكان وفاة أبن خزر .

وطويت صفحة من صفحات التاريخ لواحد من أهم القادة المسلين في المغرب تجلت فيهما كل صفات القيادة من دهاء سياسي وعسكري ودبلوماسية فائقة ، لكن مات محمد بن خزر دون أن تظهر دولته بشكلها

---

[1] ـ أبن خلدون ، العبر ، ٧ ص٢٦،١٦

[2] ـ الكامل في التاريخ ، ٧ ص٢٠١. مع أن ابن الأثير اورد مثله مثل ابن خلدون وغيره من مورخي الشيعة قضية لجوء ابن خزر للمعز وطلبه الأمان في أخبار سنة ٢٤٦هـ راجع ٧ص٢٤٣

[3] ـ البكري ، المغرب ، ص٥٢

[4] ـ يقول ابن حماد في معرض حديثه عن حصار أبي يزيد للمسيلة وحضور المنصور الفاطمي لفك هذا الحصار : (بعد هزيمة أبي يزيد بموضع يعرف بعين السودان بين جبل كيانة تبدد أصحابه فأخذ يزيد نحو صحراء مدينة بني خزر) ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ،ص٦٨ .

[5] ـ سنوسي يوسف ، زناتة والخلافة الفاطمية ، ص٢٣٠

القانوني الرسمي ، وعلى الرغم من ذلك احتفظ طوال فترة إمارته بكل مقومات الدولة من سيادة وسلطة وأرض وشعب وموارد اقتصادية وعاصمة وعملة وأخيرا شرعية ، لكنه خسر رهانه علي مولاة الناصر إذ كان أبن خزر يريد مساندة مادية منه ، لكن الأخير اكتفي بالمساندة المعنوية ، ومع ذلك كان لهـا دور في تقوية موقف دولة أبن خزر أمام الفاطميين ؛ فبعد موت الناصر سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م هبط أداء مغراوة فلا معين ولا ناصر ووقفت وحيدة أمام الدولة الفاطمية وصنهاجة وكتامة ، لكن فكرة الدولة ظلت في عقب محمد بن خزر ، حيث ترك دولة في مهدها تنسب له تولاها بعده ولده الخير وتنتهي بمحمد بن الخير ليتوافق ذلك مع نظرية ابن خلدون في أن الدول ثلاث أجيال[1] ، لتبدأ دولة أخري في مغراوة بعد حوالي أربعين سنة من نفس أسرة محمد بن خزر علي أيدي زيري بن عطية المغراوي حفيده الذي استطاع أن يعيد أمجاد أسلافه ويتخذ من وجدة عاصمة لأمارة مغراوية جديدة، لتظل قيادتهم في مغراوة حتى قيام دولة المرابطين[٢]

والخلاصة أن دولة مغراوة تقابلنا كدولة قبلية في بلاد المغرب عند دخول الإسلام وتبرز المصادر التاريخية الإسلامية زعيمها صولات بن وزمار علي عهد عثمان بن عفان وتظل تلك الدولة تخوض معركة وجودها مع القوي المتصارعة في الغرب الإسلامي إلي أن تنتهي عند تميم بن معنصر بن المعز بن زيري بن عطية سنة ٤٦١هـ/١٠٧٣م . سطرت صفحات التاريخ أحداث هذه الدولة وفقا للخط البياني لعلاقاتها مع القوي الكبرى في المنطقة ولطموحات زعمائها ؛ فأعلي منحي بياني في المعادلة كان لدولة محمد بن خزر الثاني الذي حاول أن يقيم دولة في بلاد المغرب الأوسط علي نسق جديد ؛ إذ كان طموحه السياسي يدفعه إلي إقامة دولة بربرية تجمع ما بين العصبية والدين مستفيدا من تجارب الدول المشرقية التي قامت في بلاد المغرب ، ومن تجربة الدولة الأموية في الأندلس خاصة أيام الخليفة الناصر ، ولم يأل جهدا خلال عمره المديد الذي قارب المائة عام في وضع مشروعه موضع التنفيذ حيث خاض صراع طويل مع الدولة الفاطمية ، واعتمدت عليه الدولة الأموية في تعطيل المد الشيعي دون أن يكلفها شيء غير إضفاء الشرعية الأموية علي حكمه ، قابل خلال هذه الرحلة الكثير من الصعاب الداخلية والخارجية لكنه في النهاية ترك دولة كبيرة ظلت في عقبه حتى قضي عليها يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين . لذلك تظل هذه الدولة هي أطول الدول البربرية عمرا في تاريخ المغرب الأوسط .

---

[1]- المقدمة ، ص١٧١

[2] - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص١٦٣

- المصادر

ابن الأثير ، محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق ابوالفدا عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، ط ٢، بيروت ١٩٩٥م.

الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٩م.

البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ/١١٠٣م) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى بغداد .

ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ، ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

ابن حماد ، أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ، التهامي نقرة ، وعبد الحليم عويس ، دار الصحوة ، القاهرة ١٤٠١هـ

ابن حوقل النصيبي ، من كتاب النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، صورة الأرض ، منشورات دار الحياة ، بيروت .

ابن حيان القرطبي (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) ، المقتبس في أخبار الأندلس ، نشر شالميتا ، المعهد الأسباني العربي للثقافة ، كلية الآداب بالرباط ، مدريد ١٩٧٩م .

ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بيروت .
، المقدمة ، دار القلم بيروت ، ١٩٩٢م.

ا بن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، دار المنصور ، الرباط ١٩٧٢م .

ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ١٩٨٠م .

الشماخي ، أبو زكريا أحمد بن معيد ، كتاب السير ، تحقيق محمد حسن ، تونس ١٩٩٥م .

أبن الصغير (ت في القرن ٣هـ/٩م) ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، إبراهيم بحاز ، الجزائر ١٩٨٦م .
أ

ابن عذارى المراكشي،(ت ٨هـ/ ١٤م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول تحقيق كولان وبروفنسال ، ليدن ١٩٤٨م ، الجزء الثاني تصحيح ، دوزي ، ليدن ١٨٤٩م

القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق : داود القاضي ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٠م

القلقشندي ، أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٥ .

لسان الدين بن الخطيب ، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق ، احمد مختار العبادي ، محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٦٤م .

الماوردى ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥م .

مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ١٩٨٦م.

مجهول ، نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطي ، ليفي بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ .

مجهول ، الأندلس وما فيها من بلاد ، تحقيق ، خالد الجبالى ، دار البشير ، عمان ٢٠٠٤م .

ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر بيروت .

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت .

الناصري ، أبو العباس أحمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٧٧م .

اليعقوبى ، أبى يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) ، البلدان ، ليدن ١٨٩٢م

– المراجع

إدريس صالح الحرير ، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية يناير ١٩٨٣م .

بروفنسال ، ليفي ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح حلمي ، مؤسسة شباب الجامعات ، الإسكندرية ١٩٩٠م .

الحبيب الجنحاني ، المغرب الإسلامي ، تونس ١٩٧٧م

حسن محمود ، أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط ٥ بدون تاريخ .

سنوسى يوسف ، زناتة والخلافة الفاطمية ،مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ١٩٨٦م .

سنوسي يوسف ، دور زناتة في المغرب الإسلامي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب عين شمس ١٩٨٥م .

االسيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٦م .

عبد الرحمن بشير ، المعتزلة في المغرب الأوسط عصر الدول المستقلة ، ضمن كتاب تذكاري بمناسبة تقاعد ا.د. قاسم عبده قاسم ،دار عين القاهرة ٢٠٠٣م .

عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ٢٠٠١م

عبد الله العروي، مفهوم الدولة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٨٨م

عز الدين موسي ، النشاط الاقتصادي في المغرب ، دار الشروق ١٩٨٣

فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٤ .

كيتيل ، رايموند كارفيلد ، العلوم السياسية ، ترجمة فاضل زكي محمد ، مكتبة النهضة ، بغداد ط٢ ١٩٦٣ م .

محمد الديب ،الجغرافيا السياسية ، الأنجلو المصرية ،١٩٨٩م.

محمد عابد الجابري ، العصبية والدولة ، مركز دراسات الوحدة العربية ط٦ بيروت ١٩٩٤م .

محمد عبد الله عنان ،دولة الإسلام في الأندلس ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، العصر الأول القسم الثاني ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٩م .

محمد القبلي ، الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ،١٩٨٧م .

chedli schili , L' ifriqiya au carrefour des espaces saharien et Mediterraneen A L'epoque Medievale, les cahiers de Tunisie , Tomes xxxx111 no 155-156,1989.

Michael Berrt, ifriqiya as A market for Sharan trade from the tenth to the twelfth century, in ibn khaldun and the medieval maghrib , variorum, 1999.

oliva constable, trade and traders in Muslim Spain, Cambridge, 1996.

Savage,E., Berber and Blacks: Ibadi slave traffic in Eight-century north Africa ,Journal of African history , 33 , 1992 .